

كوثر هيكل

أيقونة الرومانسية

إعداد : سماح أبوبكر عزت

الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما

مهرجان الإسكندرية السينمائي

السابع والثلاثون

لدول البحر المتوسط

سبتمبر 2021

رئيس مجلس الإدارة

رئيس المهرجان

الأمير أباطة

رئيس التحرير

أحمد كامل

تنفيذ

محمود إبراهيم

غلاف

محمد مصطفى هنداوى

عنوان المراسلات:

الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما

٩ ش عرابى - بالقاهرة

ت: ٢٥٧٨٠٠٤٢

فاكس: ٢٥٧٦٨٧٢٧

البريد الإلكتروني:

info@eafwc.com

إسكندرية يا غرامي

يتجدد اللقاء ويتواصل في مهرجان الإسكندرية السينمائي لدول البحر المتوسط الذى تنظمه الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما في دورته السابعة والثلاثين التى تقام خلال الفترة من ٢٥ - ٣٠ سبتمبر ٢٠٢١، على هذا الشاطئ الساحر الذى يجمعنا من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، حيث تتلاقى الثقافات والحضارات.

حلقات متواصلة شاهدنا خلالها مئات الأفلام من مدارس سينمائية مختلفة، تلاقينا وتواصلنا وتناقشنا وتجاوزنا، تجمعنا أواصر الصداقة والأخوة والمحبة... وعشق السينما.

يستمر التواصل ويتجدد اللقاء .. وفي دورتنا نلتقى تحت شعار السينما تصنع المستقبل، لكنه ليس مجرد شعار ولكن فلسفة حياة في مرحلة تحول درامي في المنطقة.. واحدة من أخطر المراحل التى نمر بها.

نحتفي ونحتفل معاً بكل ما هو جديد في عالم الفن السابع بعد قرن ورابع من الزمان من السحر والخيال والإبداع، منذ أول عرض سينمائي في الإسكندرية في ٥ نوفمبر ١٨٩٦، ليكون عرض أفلام لومير في بورصة طوسون بالإسكندرية، بداية عصر جديد من الفن الوليد الذى تجمعت حوله الفنون لتشكل نسيجاً واحداً من الفن التشكيلي إلى التصوير، من النحت والموسيقى إلى الشعر والدراما .

تحمل دورتنا اسم المخرج الكبير علي بدرخان الذى نحتفل معه بالعيد الماسى لميلاده، فقد ولد بعد نصف قرن من أول عرض سينمائي في مصر لينمو ويترعرع في بيت سينمائي حتى النخاع فهو نجل نقيب السينمائيين والمخرج الكبير أحمد بدر خان .

ف عشق السينما من المهد وتخرج من المعهد العالي للسينما ١٩٦٧ ، وحاز بعدها على منحة للتدريب في استوديوهات مدينة السينما الإيطالية لمدة عامين كاملين، ليعود بعدها إلى مصر ليعيش حياة سينمائية زاخرة بالفن والحب والإبداع.

نشاهد معاً أفلاماً من ٢٤ دولة تعرض لها ١٢٠ فيلماً بين روائى طويل ووثائقى مختلفة الأحجام والاتجاهات، نعرض أيضاً مجموعة من كلاسيكيات السينما من خلال أفلام المخرج الإسباني لويس بونويل الذى يحتفى به المهرجان .

نحتفى بالسينما اليونانية ضيف شرف المهرجان ونكرم كفاحها ونضالها من أجل الحرية والرخاء .. اليونان بلد الحضارة والفلسفة والتاريخ.

نشاهد معاً أهم الأفلام التى شاهدها العالم في برامج التكريمات والأقسام الجديدة التى تعرض أهم أفلام الجوائز في المهرجانات الدولية الكبرى.

أربع مسابقات ينظمها المهرجان، مسابقة دول البحر المتوسط للفيلم الطويل، مسابقة البحر المتوسط للفيلم القصير، ومسابقة الفيلم العربى المتوسطى «مسابقة نور الشريف»، ومسابقة تقام لأول مرة تكريماً لشباب الإسكندرية من دارسى السينما والإعلام وجامعات الإسكندرية.

مرحباً بكم في الإسكندرية مدينة السحر والجمال والحب .. مدينة السينما ومنارة الفكر والحضارة والإبداع .

الأمير ألبان رئيس المهرجان

إهداء

باقعة ورد
للسكن والسند .. الداعم دوماً .. نصفي المضيء في عتمة اليأس ..
الراقي الحبيب
الخالد بالقلب المسكون بالوفاء
خالد منتصر
للجهد الكبير والحب الأكبر لأمي .. كان لها الابن والصديق والسند
والداعم الدائم
لولاها ما كان هذا الكتاب

سماح

كوثر هيكل.. حبيبتي دائماً سماح أبوبكر عزت

(بأبأ بيشغل مئوفى)

قالئها بفخر الطفلة الصغيرة حين سأئئها المعلمة فى الفصل عن مهنة الوالد
كما سأئ باقى التلميذات!

ئعالئ أصوات الضحكات والهمهمات بين المعلمات؁ ومن لئظئها أءركئ
الطفلة الصغيرة (كوئر) أن مئوفى لئسئ مهنة ئففئر بها؁ ولكنها ألم سئلازمها
طوال حئائها.

ألم سئعئشه؁ سئسكن جزئاً خفياً بقلبها لئرسم نقوش الئزن على جءار
روحها ولكنه فى ذات الوقت سئمنئها القوة لمواجهة كل الصعاب بئقة؁
والإصرار على التفرد والئمئز لئءوئل نظرة الشفقة لنظرة إعجاب بذكائها
وخفة ظلها وبساطئها واعئزازها بنفسها بئقة وكبرياء.

ئلك هئ (كوئر) الئى فئءئ أبأها بعمر عامئ؁ لم ئنطق لسانها كلمة
(بأبأ) فى حئائها؁ لكن أناملها نطقئ وئرجمئ كل المعانى الإنسانئة النبئلة؁
الئب والرومانسئة؁ الءفاء العائلى والأسرى؁ الأم وءورها فى حئاة أبناءها
والأغرب.. الأب وءءسئئته كسند أمان وطاقة ئنان.



طفولة كوئر

في مدينة الإسكندرية الساحرة التي عشقتها رغم سفرها لمعظم دول العالم، وفي الخامس من نوفمبر عام ١٩٣٧، ولدت كوثر بعمر سبعة شهور، وحينها قال الطبيب لوالدها الفاضلة السيدة حميدة السقاري، الأم التي أنجبت أربعة أبناء أصغرهم كوثر: (لو كتب الله للمولودة الحياة ستكون مختلفة ومميزة عن أشقائها بل وعن الأطفال بعمرها).

من لحظتها لم ينقطع الحب السري بينها وبين والدها التي لم تشعرها بألم الفقد، بل كانت تشجعها وتدعمها وتمنحها فيضاً رحباً من الاهتمام والثقة والحب. على مدار سنوات الدراسة في المدرسة كانت كوثر مثلاً للطالبة المتفوقة دراسياً، الموهوبة فنياً، نجمة حفلات المدرسة في التمثيل، خفيفة الظل، مرحة، ذكية، اجتماعية، تبادر بمساعدة زميلاتها، لذا حرصت الفتيات على التقرب منها والفوز بصداقتها.

بعد انتهاء المراحل الدراسية بالمدرسة، التحقت الفتاة النابهة كوثر بكلية الآداب قسم اجتماع وعلم نفس، إذ كانت تتميز بفراصة وعمق، ولديها فراسة وحس في فهم البشر بنظرة تنفذ لأعماق الآخرين، تحلل وترصد وتتوقع ردود أفعالهم بناء على تصرفاتهم في المواقف المختلفة. كل هذا كان يمهّد طريقها في رسم شخصياتها الدرامية في أعمالها السينمائية والتلفزيونية بصدق وعمق.

تحت قبة جامعة القاهرة العتيقة التقت كوثر برفيق رحلة حياتها، وجبها الكبير زميلها أبو بكر عزت الذي كان يكبرها بأربع سنوات.

لم تبدأ قصتهما معاً حينها، لكن القدر جمعهما معاً من جديد في استوديوهات ماسبيرو مبنى الإذاعة والتلفزيون التي التحقت به وقت إنشائه عام ١٩٦٠ قادمة من بلاط صاحبة الجلالة، إذ عملت مع القديرة الأستاذة أمينة السعيد بدار الهلال.

تدرجت في الوظائف من معد لمساعد إخراج لكتابة السيناريو لسلسلة أفلام تسجيلية «يوم في حياة» استعرضت فيها شرائح مختلفة وأنماط من البشر البسطاء وثقت يوماً في حياتهم، عامل البناء، والممرضة، رجل على المعاش، وطفل صغير وغيرهم.



صورة كارنيه التلفزيون

بجانب إبداعاتها تدرجت في المناصب الإدارية من مدير برامج ثقافية، لرئيس قناة.. لنائب رئيس التلفزيون، وطوال تلك المسيرة لم تنس عشقها للكلمة، فكانت بحق سيدة الحوار الراقي، تميزت باقتدار بالاختزال في جمل الحوار بتعبيرات رشيقة أنيقة وعميقة في ذات الوقت، وكأنها تعزف سيمفونية رومانسية لا تمل الأذن من سماعها. أو لوحة مذهشة بديعة الألوان تسر العين لمن يراها.

قدمت الكاتبة الرقيقة أعمالاً كل منها أودعته نبضة من نبضات قلبها الحنون.

إنها المبدعة القديرة الكبيرة أيقونة الرومانسية كوثر هيكمل، الحب كان دستور حياتها، والاحترام مبدؤها في التعامل مع البشر، والحنان كان أكبر سماتها.

تلك هي أمي التي تشبه اسمها بكل الصور والمعاني، فهي نهر حنان وعطاء زاخر باللالئ من نور وبهاء.

كوثر هيكل تحكي

* حوار طويل مع ماجدة موريس عن رحلتها في التلفزيون والسينما رحلة هذه الكاتبة الفنانة طويلة، وتجربتها عريضة وثرية، فيها عمق البحر واتساعه، منذ البداية قررت أن تسبح في كل درجاته من القاع إلى القمة، واستطاعت أن تلمس بيدها القاع قبل أن تصعد إلى القمة من زاويتين، كل منهما تكفي أية امرأة طموحة، فهي قد وصلت وظيفيًا لأن تصبح رئيس القناة الأولى للتلفزيون المصري، ثم نائبة لرئيس التلفزيون كله.

أما إبداعياً فقد استطاعت الحصول على اعتراف رسمي من الدولة بالأدب التلفزيوني، وبأن الكتابة التلفزيونية هي نوع جديد من الأدب، وبناء عليه كانت أول الحاصلين على جوائز الدولة التشجيعية عام ١٩٨٢، والتي يقدمها المجلس الأعلى للآداب والفنون، لكن الجانب الوظيفي في حياتها لم يكن الأهم وإنما الجانب الإبداعي، وتتبع مسيرتها يجعلنا نتوقف مرارًا عند أحداث لها قيمتها، وآراء مهمة في علاقة هذه الفنانة بجهاز التلفزيون الذي وضع بصمته على الحياة في مصر منذ أربعين عامًا (وقت إجراء الحوار)، والذي لا يزال جزءًا مهمًا من حياة المصريين، خاصة البسطاء منهم، والذين لا يملكون ترف اقتناء الدش بكل متطلباته، ومن الجدير بالذكر هنا أن بطلتنا صاحبة التجربة العريضة مع الشاشة الصغيرة هي واحدة من أهم الأقلام التي تخصصت في الكتابة السينمائية، وإن حوارها في العديد من الأفلام السينمائية أصبح علامة مميزة لها.

تخرجت كوثر هيكل من جامعة القاهرة في عام ١٩٥٨، درست بقسم الدراسات النفسية والاجتماعية بكلية الآداب، كانت تحب دراستها جدًا، فقد وجدت نفسها أمام دراسة وافية عن الإنسان في كل حالاته النفسية والاجتماعية والفلسفية، ما زالت تتذكر أساتذتها حتى اليوم، فقد أعطوها أسسًا راسخة انطلقت بعدها في ملعب الحياة الواسع فورًا، وبالفعل لم تضع وقتها، فذهبت مع بعض أفراد دفعتها للتدرب في أخبار اليوم وهي طالبة، وبعد التخرج ذهبت إلى مجلة الشباب التي رحب بها رئيس تحريرها الصحفي

الكبير كمال نجيب.

كانت موضوعاتها الصحفية في تلك الأيام تتسم بالجنون كما وصفتها، فقد كانت لديها رغبة في تقديم كل ما يحدث في الحياة في مصر، بعدها جاءها استدعاء من الأستاذة الكبيرة أمينة السعيد رئيسة تحرير مجلة حواء وقتئذ فذهبت للعمل معها.

وما أن أعلن التلفزيون عن فتح باب التعيينات فيه حتى ذهبت وقدمت أوراقها بلا تردد، ونجحت في الاختبار، وبدأت العمل في سبتمبر ١٩٦٠، وعينت معدة برامج تلفزيونية.

من المهم قبل أن نقدم سيرتها في هذا الجهاز الذي استوعب العمر، أن ننصت لكلماتها عن خريطة العاملين في التلفزيون في بدايته، وتلك الوفود البشرية التي جاءت إلى مواقع مختلفة لتصنع جهازاً جديداً شديد التأثير والنفوذ على المواطن العادي، تقول كوثر هيكل:

«الحكاية تبلورت بنفسها من خلال العمل، فقد دخل التلفزيون عند مولده أربع فئات، أولها الإذاعيون وهؤلاء عملوا غالباً في كتابة وقراءة النشرات، وفي إدارة العمل، فقد كانوا أصحاب أقرب الخبرات إلى العمل التلفزيوني، والفئة الثانية هم الصحفيون والذين عملوا في الإعداد لأنه أقرب إلى عملهم الأصلي، والفئة الثالثة وهم السينائيون الذين عملوا في الأفلام السينمائية وما تتطلبه من فروع متخصصة مثل التصوير والمونتاج السينمائي، أما الفئة الرابعة فهم أهل المسرح الذين مارسوا أعمال الديكور والإخراج غالباً، وبقيت فئة جديدة هم العائدون من البعثات التي درست التلفزيون خصيصاً، ومنهم محمد سالم، وروبير صايغ، ومحمود مرسى، وتماضر توفيق، وصلاح عز الدين، ومحمود الشريف، وآخرون، والجدير بالذكر أن هذه الفئة الأخيرة كان من بينها من ذهب ليدرس التلفزيون وبينهم من كان يعمل بالإذاعة والمسرح، وذهب كي يدرس هذا التخصص الجديد أصلاً، وتذكر كوثر هيكل حقيقة مهمة سعى إليها الجميع في بداية إفتتاح التلفزيون هي إقامة وإيجاد البرنامج التلفزيوني، ورأيها الشخصي أن التلفزيون هو البرنامج كما أن السينما هي الفيلم، والمسرح هو المسرحية،

وبالتالي كان نجاح التلفزيون هو في تقديم برنامج يعتمد على الصورة يعني نجاح العاملين فيه في فهم طبيعته كمجال جديد، خاصة وأن ظروف الحياة كانت تتجه إلى أن تصبح أكثر صعوبة على الناس، وتحرمهم من متع أساسية كانت متاحة لهم مثل ارتياد دور السينما الصيفية التي كانت بمثابة سينما العائلة المصرية حتى نهاية الستينات، من هنا وبرغم أن البرنامج كان الهدف الأول لكتيبة التلفزيون في عهده الأول، فقد نافسه هدف ثان هو تقديم الدراما والاهتمام بها نظرًا لزيادة ساعات الإرسال، والاختفاء التدريجي لوسائل الترفيه التقليدية وزيادة أعباء الحياة، بمعنى أن محل التلفزيون محل السينما الصيفي، ومن الجدير بالذكر هنا أن هذا الفكر قابله من ناحية أخرى تجربة مهمة من تجارب التلفزيون هي إنشاء فرق التلفزيون المسرحية، التي كان هدفها إنجاز رصيد من الأعمال المسرحية التي تعرض لوقت محدود على خشبة المسرح ثم تسجل لعرضها على المشاهدين مرارًا وتكرارًا، وهو ما يعني أن الذين خططوا للتلفزيون وضعوا في حسابهم أن يستوعبوا طاقة المتفرج بين السينما والمسرح وكافة وسائل التسلية والترفيه لتصبح شاشة التلفزيون هي مصدر التسلية والترفيه والتثيف الوحيدة، بما تقدمه من تمثيلات ثم مسلسلات فيما بعد، ثم مسرحيات فرق التلفزيون، وأخيرًا الأفلام السينمائية الطويلة، بالإضافة إلى ما يسمح به هذا الوسيط الجبار من إمكان تقديم الأجنبي سواء أفلامًا روائية أو تسجيلية أو مسلسلات أو برامج أجنبية ترفيهية أو تسجيلية، والتي تحمل تنوعًا هائلًا ما بين العلم والطبيعة والتاريخ والحياة البرية، فحتى اليوم ما زال التلفزيون يقدم برامج ثابتة منذ أن بدأ إرساله مثل عالم الحيوان ونافذة على العالم.. إلخ».

تذكر كوثر هيكل أن الفريق الأول الذي قدم من الفئة السابقة للعمل في التلفزيون في بدايته كان فريقاً ذكورياً، لم يكن بينه نساء لأن القادمين من السينما والمسرح والإذاعة كانوا رجالاً فقط، يعملون في مهن التأليف والإخراج والمونتاج والتصوير والصوت.. إلخ، بينما كانت النساء الأوائل هن المذيعات فقط، لم يكن هناك في مصر سيدات يعملن في الإخراج في المسرح أو السينما أو الدراما الإذاعية، التلفزيون خلق لنفسه فناً جديداً، كان المعهد الحقيقي الذي لا يضاهيه أي معهد، والذي تخرج فيه ناس أحبوا هذا

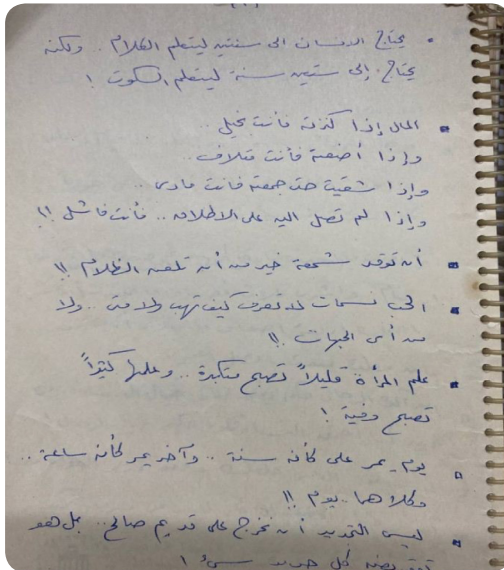
المجال، العمل التليفزيوني، وعشقوه وأبدعوا فيه كتابة وإخراجًا وتصويرًا ومونتاجًا، ومن هنا زحف طابور النساء المبدعات في التأليف (كوثر هيكل، وفيه خير، فتحية العسال...) وفي الإخراج (إنعام محمد علي، علوية زكي، شويكار زكريا، عليّة ياسين...).

نحن النساء الموهوبات

في هذا المناخ تعترف بطلتنا أن فرصتها كانت أكثر من غيرها من النساء اللواتي بدأن العمل في التلفزيون، «كنت نهمة إلى المعرفة، علمني العمل كمساعد مخرج الكثير، وأضاف لي النقلة التي أحتاجها لكي أبدأ ككاتبة للتلفزيون، فلم يكن هناك كاتبات أتعلم منهن في المسرح أو الإذاعة أو السينما، لكن التلفزيون خلق هذا لدي ولدي غيري ودفعنا للظهور على ساحته، ومن هنا تواجدت الكاتبة التلفزيونية، قبل أن تتواجد الكاتبة الإذاعية أو المسرحية! وكأن التلفزيون مدرسة فتحت أبوابها لكل المواهب وعلى كل من يدخلها أن يثبت موهبته».



لم تكن أكاديمية الفنون في رأيها هي التي صنعت أسماء هذا الجيل من النساء ومعه جيل آخر من المبدعين مثل المخرج حسين كمال والفنان محمود مرسى الذي درس الإخراج التلفزيوني في أمريكا وعاد وأخرج للتلفزيون، لكن عالم التمثيل أخذه ويوسف مرزوق وفايز حجاب وعبد الرحمن الخميسي ونور الدمرداش وإبراهيم الصحن ويحيى العلمي، وتقول: «التلفزيون فرض نفسه كوعاء فرض جديداً على الصورة من خلال أسلوبه في التعامل مع تلك الصورة وحجمها وتحريك المجاميع فشكّل بنفسه ملامحه كجهاز إبداعي ترسخ مع الوقت عبر هؤلاء، وفي رأيي أنه إذا كانت أكاديمية الفنون لم يكن لها دور في تلك المرحلة في صناعة أسماء هذا الجيل، إلا أن دور الثورة نفسها لا يمكن إنكاره لسبب بسيط وهو أن التلفزيون نفسه كجهاز جاء وليداً للثورة ورغبتها في مواكبة العصر، هذا من ناحية.



خواطر بخط يدها

أما الجانب الآخر والأهم أن الأسماء التي وردت كرواد سواء منهم من درس بالخارج، أو جاء من وسائط إبداعية أخرى كالمرشح أو الإذاعة، فإن

هؤلاء الذين ذهبوا في بعثات فقد ذهبوا عبر تبني الدولة في ذلك الوقت خلق كوادر حاصلة على الخبرة والتدريب من الخارج حتى يضعوا هذا الوسيط الجديد في المكانة التي تليق به، أما الذين أتوا بخبراتٍ من وسائط إبداعية أخرى فقد كانوا في أغلب الحالات غير متحقيقين فنياً في ظل نجوم كبار آخرين في تلك الوسائط الإبداعية، فكان أن تلقفهم التلفزيون ليشقوا ويشق بهم طريقة خاصة في الدراما التلفزيونية ويصنعوا لها تاريخاً بل ويجعلونها منافساً للسينما، وحيث استطاعت الدراما مع منتصف السبعينات أن تصبح مثل السينما المصرية التي اكتسحت العالم العربي، ولكن هنا كان الاكتساح للقنوات المحلية التلفزيونية العربية التي بدأت تبث في جميع دولها في توقيت متتالٍ متقارب، ولوقت طويل ظلت الدراما التلفزيونية المصرية هي المسيطرة، قبل أن تستطيع الدراما التلفزيونية في بعض الدول العربية خاصة سوريا في السنوات العشر الأخيرة أن تصبح إلى حد ما في موقع المنافسة على مستوى الكيف لا الكم».

وتضيف كوثر هيكل قائلة: «كانت الدراما التلفزيونية في بدايتها أقرب إلى المسرح والإذاعة أو مالت إليهما، فيما يتعلق بالمسلسل وظهور الشخصية، لكنه اختلف عنهما في اتخاذه لصيغة جمع فيها بين المسرح والإذاعة معاً وفرض هذا الجهاز الذي وصف بأنه ولد عملاقاً على أبنائه أن يكون لهم خط وبصمة في الدراما التلفزيونية، كانت الإدارة لها دور في تفتيح الإبداع لدى العاملين، كانت الرقابة موجودة ولكن كل واحد منهم رقيب على نفسه، لا يستطيع قذف المجتمع بالسوء فيما يتعلق بالأخلاقيات وبأمن المجتمع، كان زمن التمثيلية هو نصف ساعة أو أكثر قليلاً وفق ما يحدده المبدع، بعد ذلك جاءت مرحلة متأخرة اشترطوا فيها ألا تقل التمثيلية عن ساعتين إلا ربع، وأن تصبح مدة الحلقة ٥٠ دقيقة بدلاً من ٤٥ دقيقة، وأن تستأصل منها كلمات مثل (وحشتني-والله-والنبي-لاياشيخ) وأن يمنع الحديث عن اليأس والانتحار والعفاريث وغيرها، وكانت هذه الإضافات قد بدأت تتم مع ما بعد منتصف السبعينات بعد بداية سيطرة التسويق على حال الدراما وحيث كانت هناك قائمة ممنوعات للرقابة الخليجية».

وفيما يتعلق بالدراما التلفزيونية في بدايتها وأنها كانت أقرب إلى المسرح

والإذاعة أو مالت إليهما، تقول «إن هذا لم يكن فرضاً من أحد إنما كان هذا طبيعياً في مرحلة كانت لا تستطيع الصورة التلفزيونية - خاصة في مرحلة الأبيض والأسود- أن تمنحها جماليات السينما وخاصة في اللقطة الطويلة، كذلك تنوع أماكن التصوير وبالذات التصوير الخارجي، فكله كان داخل البلاتوه، ناهيك عن معضلة تقنية ظلت منذ بدء التلفزيون حتى الربع الأول من السبعينات وهي عدم وجود ما يسمى بمونتاج الفيديو، وحيث كانت الدراما التلفزيونية في مجملها تعتمد في تصويرها على كاميرا الفيديو والقطع بين المشهد والتالي له أثناء التصوير فقط بواسطة مونتر الكنترول بالنقل من كاميرا في ديكور إلى كاميرا في ديكور آخر جاهزة للتصوير! (ما سمي بالسهرات والسباعيات وبعض المسلسلات الممتدة) ويتم تسجيل ذلك على شريط فيديو لا يمكن إجراء أي عمليات حذف أو إضافة فيه بعد تصويره، حيث لم يكن قد تم اختراع المونتاج الفيديو أي الأجهزة التي تقوم بعملية المونتاج لتلك الأشرطة المغناطيسية بعد تسجيلها، ناهينا أنه قد حدث تأخر في استيراد تلك الأجهزة بعد اختراعها لفترة، فكان من الضروري تصوير التمثيلية النصف ساعة أو الخمسة وأربعين دقيقة متصلة من دون توقف وبدون أي أخطاء مطلقاً سواء في الحوار أو التصوير، بل فرض نوعاً من بناء السيناريو لا يسمح لممثل في مشهد أن يتم القطع منه عليه في ديكور مشهد تال في ملابس أخرى مثلاً!! لأنه من المستحيل أن يلحق هذا الممثل أن يغير ملابسه في برهة أو دقائق، ومن ثم كان لا بد أن يتخلل المشهدين مشهد لممثلين آخرين يأخذون وقتاً كافياً حتى يستعد الممثل للظهور في المشهد التالي بعد أن يكون قد غير ملابسه ووضع لمسات الماكياج المناسبة له.. إلخ، من ثم مع منتصف السبعينات حينما وردت تلك الأجهزة أصبح من الممكن القيام بمونتاج الفيديو تماماً مثل السينما أي التصوير والتوقف وإعادة اللقطة مرات عديدة من أجل التجويد سواء في أداء الممثل، فقد كان بعض الممثلين ينسون مقاطع حوار كاملة، وكان المخرج الذي اقترب من نهاية تصوير التمثيلية يضطر لقبول ما حدث حتى لا يضطر لإعادة كل ما صورته لأنها تصبح كارثة إنتاجية، كذلك كان لا بد أن يكون طاقم الممثلين حافظاً دوره صم، وكم من ممثلين موهوبين لكن لأنهم ليسوا صمايين دخلوا دائرة

النسيان بسبب ذلك النظام، لقد أصبح من السهل توقف التصوير لضبط الإضاءة أو كاميرا حدث بها عيب أو ميكروفون جاء ظله على ممثل من دون قصد... الخ، من ناحية أخرى سمح النظام الجديد بإحداث تغيير جذري في بناء التمثيلية التليفزيونية كسيناريو، فبصرف النظر عن أنه قد أصبح عادياً أن يقطع الكاتب على ممثله ليس في مشهد بل في عشرة مشاهد متتالية وقيمة هذا من الناحية الفنية حيث ساعد ذلك على اقتراب بناء السيناريو من البناء الفيلمي، إلا أن الأهم والذي قربه من السينما أن أصبحت هذه التمثيلية تتمتع بحرية الحركة في التصوير الخارجي بالخروج إلى الشارع وكل مكان يخطر على البال، إضافة إلى اقتصاديات السينما نفسها مثل تصوير مشاهد ديكور واحد بالكامل ثم إعادة تضفيرها طبقاً لتسلسل الأحداث ببساطة في المونتاج، ومن ثم سهل ذلك تواجد طاقم تمثيل هذا الديكور فقط، في الوقت الذي كان النظام السابق يحتم وجود جميع ممثلي التمثيلية حتى يمكن تصويرها! كذلك لم يعد مهماً أن تمتد التمثيلية من الناحية الزمنية إلى ساعتين أو أكثر، وحلقات المسلسل خمسين دقيقة، طالما ذهب رعب إعادة كل ما تم تصويره لو حدث خطأ من نوع احتراق إحدى لمبات الإضاءة في مشهد، كما حدث تطور آخر وهو إمكان تصوير المشهد لقطة لقطة وليس مشهد مشهد، كما أصبح من السهل تصوير مشاهد بالكامل بكاميرا واحدة، بل وصل الحال ببعض مخرجي السينما إلى استخدام كاميرا واحدة لتصوير مسلسل بالكامل، وعشرات التفاصيل المذهلة التي أتى بها مونتاج الفيديو والذي يستحق دراسة كاملة».

منوعات ودراما وحظ حسن

مسيرة كوثر هيكل في التلفزيون اتخذت خطأً بيانياً متصاعداً، فحين عينت معدة برامج لم تكتف بهذا، وإنما عملت أيضاً مساعداً للمخرج محمد سالم أهم مخرجي المنوعات في عصر التلفزيون الأول، وتجربته معه مشوقة كما تحكيها:

«سعيت للعمل مع محمد سالم، كنت متعطشة لفن الصورة وكيفية التعامل معها، كان محمد سالم أستاذاً، قدم لغة المنوعات لأول مرة للمصريين عبر الشاشة الصغيرة، وإنسانياً علمني أن الخلاف لا يفسد للود قضية، كنت أعمل معه من الصباح إلى المساء بلا كلل وبفضله اكتشفت حبه للفن بلا حدود، واكتشفت أدوات العمل في التلفزيون وعرفت موقع كل منها، ولذلك اعتبره أحسن معهد للذين ولدوا معه وفيه فهو صنعهم وهم صنعوه أيضاً».

«وكنت سعيدة اللحظ مرة ثانية عندما عملت مع حسين كمال، الذي كان قد عاد من بعثته إلى معهد الإيديك في فرنسا ١٩٥٩ وبدأ العمل في التلفزيون وأخرج أفلاماً درامية قصيرة رفيعة المستوى».

تمثيلية اشتراكية

أثمر العمل مع حسين كمال ثمرته لدى كوثر هيكل، فقد نشرت قصة كتبها في مجلة القصة فسألت نفسها لماذا لا أكتبها تمثيلية، وهكذا كتبت لها السيناريو والحوار، واحتفظت بنفس اسمها الأدبي «لمن نحيا» كانت أول امرأة تكتب قصة وسيناريو وحوار لدراما تلفزيونية، وكانت التمثيلية ٤٥ دقيقة، تدور حول فتاة متعلقة بأبيها بشدة، وعندما توفي أصابها صدمة عنيفة تحولت إلى نوع من الشلل عندما تزوجت الأم من رجل آخر، تولى طبيب نفسي علاجها وطلب أن تقيم في عنبر بأحد المستشفيات أثناء فترة العلاج، فأذعنت الأم والابنة بعد رفض ميدئي، وفي العنبر بدأت دائرة اهتمام الفتاة تتسع عندما وجدت عدداً كبيراً من المرضى حولها، وكل منهم له مشكلته وأحلامه،

شعرت بمعاناتهم وبدأت تحاول مساعدتهم وتنسى ذاتها المفرطة.

تقول كوثر هيكل عن تمثيليتها الأولى: «كانت تمثيلية إشتراكية، وكنا كلنا متأثرين بالاشتراكية في تلك الأيام، كانت مصر تخطو في طريق الاشتراكية وشعار مصلحة المجموع يعلو على مصلحة الفرد، ومن هنا لم أجد نفسي في موضع نفاق للنظام وإنما رؤية إنسانية قد تتفق معه».

وتضيف: «أنا أرى أن الأدب الحقيقي هو الذي يبقى برغم كل الظروف، من هنا فإن سلوك البطلة برغم اتفاقه مع الفكر الاشتراكي، إلا أنه يتفق أكثر مع الفكر الإنساني عموماً، فالأب لا يموت في قلب أبنائه، وعلى الإنسان أن يجد صلته بالحياة وأن يفتح قلبه وعقله للناس ويمد خيوطه إليهم»، أخرج حسين كمال «لمن نحيا» ومثلتها سهير البابلي مع زوزو نبيل وزيزي مصطفى ومحمود عزمي، وحظيت باهتمام صحفي ونقدي حافل، فالتقد التلفزيوني كان جديداً والتلفزيون كان طازجاً، وجد فيه النقد أنه عمل ذو إحساس عال وفكرة عميقة مع بساطتها، وإخراجها لا تشعر به والحوار قليل وجيد، أما أنا فقد شعرت بأني قد بدأت أدخل عالم الدراما، ولو كتبت من جديد سأكتبه أفضل».

يوم في حياة الناس

تعتبر كوثر هيكل نفسها خريجة البرامج الثقافية بالقناة الأولى بالتلفزيون، صحيح أنها أصبحت فيما بعد رئيسة تلك البرامج، لكنها لا تنسى فضل أول رئيسة لها في تاريخ التلفزيون سميرة الكيلاني التي كانت رئيسة رائعة، أتاحت لها الفرصة على طبق من ذهب كما تقول، عندما طلبت منها مرة تقديم فقرة مدتها خمس دقائق عن الربيع ضمن فقرات (مجلة التلفزيون) التي كانت تقدمها المذيعة الرائدة المتألقة أماني ناشد، انطلقت كوثر هيكل تنفذ المطلوب منها ومعها مصور وكاميرا ١٦ ملي، وقررت أن تقدم وجهة نظرها في الربيع:

«قلت لنفسي أنه يوجد دائماً لكل شيء وجه جميل ووجه لا بد من أن نحذر منه، من هنا قدمت إيجابيات وسلبيات الربيع، كانت تنتظر بفارغ الصبر نتيجة هذا الاختبار عندما أعلمتها سميرة الكيلاني بأنها نجحت، قالت لي

قدمت شيئاً جميلاً وجيداً».

كانت قبل هذا تعد برنامجاً بعنوان «إنت مين» ضمن برامج المنوعات، قدمت من خلاله حلقات مع الأدباء والكتاب في مصر، لكن بعد أن قدمت تلك الفقرة عن الربيع تم تكليفها بتقديم برنامج خاص بعنوان «يوم في حياة»، عن حياة الإنسان في كل مكان على الطبيعة وبعيداً عن الرتوش، كان برنامجاً تسجيلياً يعد وثيقة عن حياة الناس في الستينات من مختلف الشرائح والطبقات، استطاعت أن تقترب فيه من شخصيات غير نمطية وتسجل تفاصيل حياتها اليومية مثل بائع متجول، وصياد سمك، وسائق حنطور، وأيضاً مروضة وحوش في السيرك، وممرضة، ومرشد في قناة السويس، وعامل بناء، ورجل على المعاش، وسجين، أربعون حلقة قدمتها بمعدل حلقتان في الشهر، استغرق عرضها الفترة من عام ١٩٦٢ إلى ١٩٦٤، وتحكي عنها فتقول: «كتبته عن الحياة بروح الدراما، وكنت حريصة على أن تكون النهاية حارقة ومؤثرة، لا أنسى حلقة السجن فقد كان سجيناً بسبب الثأر فداء لأمه، وفي زنزائنه لم يكن يعرف الزمن أو الوقت إلا من خلال الطائر الوحيد الذي يحط على شباك الزنزانة، فذلك الطائر كان رابطته الوحيدة بالحياة، نقلني يوم في حياة نقلة كبيرة وجعلني مؤهلة للكتابة للسينما بعد هذه التجربة الخصبة».

كانت للبرامج الثقافية في ذلك العهد ثقلها الكبير وقدرتها على تبسيط الأدب والعلم والفن للأغلبية، وكانت البرامج قصيرة لكنها كانت تتضمن جزءاً درامياً يتيح الفرصة لظهور أجيال من الكتاب والكاتبات والمخرجين والمخرجات تحت رعاية سميرة الكيلاني، كان وقت الإرسال قليلاً، ووقت البرنامج نصف ساعة وصل إلى أقصى حد له من خلال برنامج مثل «كاتب وقصة» الذي يستضيف كتاب الأدب والمسرح ويحاكمهم نقدياً ودرامياً، بالإضافة لتقديم البرامج الثقافية لبعض المؤلفات من خلال تحويلها إلى تمثيلات قصيرة مثل «يومييات مدرسة» و«الأب المصري» وغيرها.

في عام ١٩٦٤ وهو العام الذي تزوجت فيه كوثر هيكل من الفنان أبو بكر عزت خريج الفلسفة ثم المسرح والممثل الواعد، أسندت إليها سميرة الكيلاني الإشراف على برنامج «رسالة» بعد سفر مقدمته «فايزه واصف»

إلى الخارج مع زوجها الدبلوماسي، كان رسالة بمثابة مصنع للدراما تخرج منه مؤلفون ومخرجون كبار وأيضاً ممثلون كبار، من خلال مساحة الدراما فيه، والتي لا تزيد عن ربع ساعة فقط، كانت مسئولية الإشراف عليه تتضمن مقابلة الناس أصحاب الشكاوي الذين يحضرون بأنفسهم للتلفزيون، واختيار الرسائل الأكثر أهمية وإلحاحاً بين العدد الضخم الذي يصل للبرنامج، ثم اختيار الكاتب الذي يحول المشكلة إلى دراما موجزة ومعبرة في فترة الخمسة عشرة دقيقة، وأيضاً المشاركة في اختيار الممثلين مع المخرج، وكانت كوثر هيكل تكتب بعض الحلقات بنفسها إضافة لكل هذا، وشعارها يقول إن الثقافة هي أسلوب حياة، ومواطن يتنفس هذا الأسلوب ليتطبع بعد ذلك به .

حكاية كل زوج

في فيلمها التلفزيوني الأول «حكاية كل زوج» الذي كتبه بالمشاركة مع مصطفى كامل وأخرجه حسين كمال، كان الموضوع هو أحلام الأزواج بالتمرد دائماً على زوجاتهم بعد فترة من الحياة الزوجية، وكان البطل زوج ضابطة تحكيمات زوجته، وأصبحت بنت الجيران حلمه، بهدوئها وسحرها، تسافر الزوجة في مهمة، ويبدأ هو في التقرب من الأخرى وبالتدريج يكتشف أنها ليست الساحرة التي رآها من بعيد، ويبدأ في المقارنة بينها وبين زوجته، وبعد أن تعود من مهمتها يدرك أنها ليست الإنسان الذي أراد الخلاص منه .

مفترق الطرق

تمثيليتها الثانية وكان المخرج أيضاً هو حسين كمال، والأبطال صلاح ذو الفقار وزيزي مصطفى وصفية العمري، وفيها نزلت التمثيلية التلفزيونية إلى الشارع والحداثات وتطلب هذا أن يقترض المخرج سيارة التسجيلات الخارجية الخاصة بمباريات الكرة ليصور بها في حديقة الأندلس، كان ذلك عام ١٩٦٩ .

تدور أحداثها حول أستاذ جامعي متمرد، يدرس لطلبته الحريات التي تؤخذ ولا تمنح ويؤثر فيهم، خاصة طالبة من أسرة بسيطة اعتنقت كلماته وجعلتها طريقاً لحياتها وسبيلاً للتخلص من معاناتها مع أسرة تميز أخاها

وتتيح له أن يصبح الأمر لأخته والمسيطر عليها، تترك الطالبة البيت بحثاً عن عمل وتطبيقاً لمبادئ أستاذها بما فعلته برفضه لها، وإعلانه أنه لم يقصد ما فهمته، فترتبك وتصبح في مفترق الطرق عاجزة عن العودة للمنزل أو الاستمرار في التمرد.

أثار العمل ضجة في وقته واعتبر جريئاً وخارجاً عن المؤلف لكن كوثر هيكل ردت بأنه على المجتمع أن يعرف أن الإنسان عندما يصبح مكبلاً بأية قيود أو متاعب تصبح الحرية أملاً حلوّاً يسعى إليه، وعندما يواجهها مرة واحدة يدرك أنه لم يتأهل لها بالشكل الصحيح، وتعلق على هذا قائلة: « كنت في هذا الوقت قارئة جيدة للبشر خلال سنوات العمل في «يوم في حياة» و«رسالة»، وأنا قارئة أعيش فيما أقرأه، أغلب الكتاب يهربون إلى السياسة، لكنني أجد نفسي في علاقات الناس وحياتهم، ولهذا لم أكتف بما حددته المهنة لي، وإنما استفدت من وضع هيا لي ألواناً مختلفة من الحياة من خلال الكتابة عن الناس، أعتبر نفسي أعيش العمر عمريين، العمر الواقعي والعمر الذي يعيشه أبطال أعماله.

الرحلة مع شريك الفن

دخل التلفزيون عصر الألوان، و دخلت معه كوثر هيكل منذ البداية وحيث كانت تمثيلية (اللقاء) التي كتبتها أول عمل يصور بالألوان بعد إنشاء استديو ١٠ الجديد الكبير، كانت اللقاء بطولة صلاح ذو الفقار وزيزي البدر اوي وإخراج حسين كمال، وتدور حول شاب وفتاة عاشقين، فرقت بينهما ظروف الحياة وتزوجت هي آخر وأنجبت بنتاً، ومضي هو في طريقه وظل ألم الفراق يعذبها سنوات طويلة حتي جاءت اللحظة المرتقبة والتقياً، وبعد أن فرغ كلاهما الأشواق والتحيات المخزونة لديه، تحول لقاؤهما إلى مساحات زمنية بطيئة ومملة، اكتشف كل منهما أن الآخر لم يعد ذلك الحبيب الذي عرفه، وأنه يود لو انتهى وقت اللقاء المنشود إلى فراق أبدي مسح حتى الذكرى الحلوة القديمة.

وأتوقف عند حسين كمال والذي يبدو هنا وكأنه الطرف الثاني المؤكد في رحلة كوثر هيكل الإبداعية منذ البداية ولفترة طويلة، وتحجب الكاتبة «إنه

شيء مهم أن يكون هناك توافق فكري بين الكاتب والمخرج، وأن تخلو علاقتهما من التعنت والفردية كما يحدث في الخارج، وحيث يصلان أحياناً إلى تكوين فريق فني متفاهم ومتجانس.

حسين كمال فنان شامل وقدير في التلفزيون والسينما، وأعماله الأولى في التلفزيون أظهرت مواهبه الكبيرة خاصة (المعطف) الفيلم القصير الذي حصل علي ذهبية مهرجان التلفزيون الدولي عام ١٩٦٣، ونحن متفاهمان جداً وهو أكثر من يفهم لغة الصمت في مساحة السيناريو عندي، ولغة الاقتصاد في الحوار ويعبر عنها ببراعة، فمن الممكن أن يتوقف الحوار لكي تظهر الكاميرا مشاعر بطليه والمشاهد يلتقط هذا ويصدق الشاشة، وليس أي مخرج يستطيع أن يفعل هذا، فلا بد أن يقتنع بالكاتب لكي يقنع المشاهد، ولقد ظهرت ملامح شخصيتي في الكتابة معه، ووصلنا إلى حالة من الفهم والتفاهم وبالتالى بعد فترة لم أعد أتعب في توصيل أسلوبى له».

ولوج السينما

في عام ١٩٧١ دخلت كوثر هيكل عالم الشاشة الفضية الكبيرة من خلال فيلم (إمبراطورية ميم) بطولة (فاتن حمامة)، الذي كتب قصته (إحسان عبد القدوس) وشاركت هي في كتابة السيناريو والحوار له، أما المخرج فهو أيضاً حسين كمال الذي قدمها إلى المنتج (رمسيس نجيب) فوقع معها عقداً لكتابة فيلمين، كان الفيلم الثاني هو (دمي ودموعي وابتسامتي) بطولة (نجلاء فتحي) الذي حصلت عنه علي جائزة أحسن سيناريو وحوار بينما حصل الفيلم نفسه علي ثلاث عشرة جائزة من جوائز الدولة للسينما في عام ١٩٧٢.

وبعد عامين كتبت فيلمها الثالث وكان عن قصة د. يوسف إدريس (علي ورق سوليفان) عام ١٩٧٤ والذي قامت ببطولته (نادية لطفي) مع (محمود ياسين) وكان المخرج هو حسين كمال، والملاحظ أن أفلامها السينمائية الثلاثة كانت مأخوذة عن قصص لكتاب روائيين وليست مؤلفاتها هي وهو ما تفسره بأن قوانين السينما في ذلك الوقت مع مطلع السبعينات كانت تضع أسماء الأدباء الكبار أولاً قبل أية أسماء أخرى على أفيش الفيلم السينمائي وفي إعلاناته، وهو عكس ما حدث بعد ذلك منذ عقد الثمانينات، من هنا لم

يكن هناك مفر من أن تخضع الكاتبة لقوانين سوق السينما عند دخولها إياها، وإن كانت قد استطاعت أن تحتفظ لنفسها بخصوصيتها ككاتبة مبدعة من خلال براعة فائقة في التعامل مع الحوار جعلتها اسماً مميزاً، وهو ما أوصلها إلي جائزة الحوار عن فيلم (حبيبي دائماً) الذي كتب له السيناريو د. رفيق الصبان وكان صرخة رومانسية أنهت بها السينما المصرية عقد السبعينات.

في الثمانينيات لم تتخل كوثر هيكل عن إيمانها بالتلفزيون برغم رسوخ اسمها في السينما، فعادت إليه من أبواب جديدة عديدة، منها تعاملها مع مخرجين جدد عليها، وإن كانت أعمالهم مألوفة لها بحكم الزمالة ومتابعتها الجيدة لأعمالهم، وذلك التقدير المتبادل بين المبدعين، قدمت في النصف الأول من الثمانينات مسلسلاً تلفزيونياً مع المخرج (إبراهيم الشقنقيري) بعنوان (وتفضلوا بقبول الحب) كانت بطلته (ليلي علوي) قبل تحولها للسينما تماماً، وكان الفيلم يدور حول ضرورة أن يبذل الإنسان جهداً من أجل صنع علاقات طيبة وود صاف مع الآخرين لأن الحياة لا تستقيم بالعداء والضغائن، كما قدمت фильماً تلفزيونياً أخرجه (يوسف مرزوق) أحد أهم الأسماء التي أعطت للإخراج التلفزيوني وجهه الإبداعي وهو فيلم (وصية زوجتي)، الذي لعب بطولته أبو بكر عزت أمام عفاف شعيب وصابرين، فهو دراما اجتماعية في قالب كوميدي ويدور حول دور الأب في الأسرة من خلال البطل مدحت الذي توفيت زوجته تاركة له ثلاثة أبناء في أعمار مختلفة وتوصيه بأن يتزوج من سيدة بشرط موافقة الأبناء، وهنا يبدأ كل منهم في ترشيح زوجة لأبيهم تخدم مصالحه الشخصية والأب حائر بينهم!

عصفور في القفص

وإنجاز كوثر هيكل في هذا العقد في عالم دراما التلفزيون وفي عالم الفن عموماً فهو اتجاهها إلى تقديم المسلسلات ولأول مرة، وحيث بدأت العقد بمسلسلها المتفرد (عصفور في القفص) وأنهته بمسلسل (مكان في القلب) *ملاحظة: أجري هذا الحوار في عام ٢٠٠٢ قبل تصوير آخر مسلسل وهو علي نار هادئة.

وحين انتهى عرض مسلسل (عصفور في القفص) في النصف الأول من

شهر فبراير عام ١٩٨١، كان تعليق الأقلام الناقدة له أن مؤلفة هذا العمل هي البطل الأول له، وإن نهايته غير المتوقعة لا يمكن لأحد أن يتصور نهاية أفضل منها، فقيمة العمل جاءت من خلال موقف يبدو عاديًا ومتكررًا، وهو أن يترك زوج زوجته التي اقترن بها بعد قصة حب، لأن الضيق المادي أصابه بإحباط شديد وأأس. لكن ما حدث بعد ذلك لهذا الطليق المحبط ليس من المواقف الشائعة، لكنه من خيال المؤلفة التي أرادت أن تقدم خبرتها ونصيحتها للمجتمع، فالمرء الذي يريد أن يجمع بين كل شيء مثل بطل المسلسل (مدحت) يخسر كل شيء الحب والاستقرار وأيضاً المال الذي سعي إليه في زواجه الثاني وتحمل الكثير من أجله حتى وجد نفسه مهدداً من جديد بالوقوف في أول السلم، فادعي الجنون ليتخلص من مأزق السقوط، لكن الادعاء يتحول إلى حقيقة ويصاب الرجل بالجنون فعلاً، وهي النتيجة البعيدة التي تحذر منها المؤلفة لسقوط الإنسان في شرك أوهام السعادة المادية فقط وعلي حساب كل شيء .

لقد كان البطل يعتبر نفسه عصفوراً في قفص حديدي بغض النظر عن أي قيم أخرى، وعندما تحرر من قفصه للمرة الأولى اعتقد أنه نال غايته، لكن دخل برضاه إلى قفص جديد وأقنع نفسه أنه تحرر بفضل ثراء الزوجة الثانية التي أحبه بعنف بعد سنوات من الوحدة والجفاف، فإذا بحبها له يتحول إلى قفص أكبر وأشد مما توههم، وضاعت قيمة الرخاء المادي أمام استلابها له وكأنها امتلكتها امتلاكاً، ففشلت علاقتهما ليجد نفسه طريداً وحيداً مهدداً بالإفلاس والسجن.

أخرج المسلسل محمد شاكر الذي قدم من قبل بعض التمثيليات، لكن من خلال مسلسل عصفور في القفص، كشف عن موهبة ومقدرة في اختيار الممثلين وفي الاحتفاظ بإيقاع سريع متدفق وفي إدارة دفقة الدراما للتعبير عن وجهة نظر الكاتبة فأتاح لأغلبية المشاهدين التعرف عليها جيداً، والتوقف أمام جملها القصيرة وأسلوب رسمها للشخصيات وحوارها الموحى، وهي سمات تميزت بها في أعمالها.

مكان في القلب

لم يكن صعباً أن يكون محمد شاكر هو مخرج المسلسل الثاني لكوثر هيكل فهي صاحبة المقولة المعروفة عنها (أهم عناصر النجاح للعمل هو التزواج في الأفكار بين المخرج والنص وإقتناعه به تماماً).

ومن الجدير بالذكر هنا أن (مكان في القلب) كان من المفروض أن يكون المسلسل الأول إلا أنه تعطل عدة سنوات بسبب مشاكل عديدة حالت دون تنفيذه لدرجة دفعت بصاحبته إلى محاولة سحبه، ولكن تدخل رئيسة التليفزيون في ذلك الوقت (سامية صادق) وحسمها الموقف أتاح له فرصة التحقق والعرض ليحدث صدي هائلاً، وحيث تنبأت كاتبته بما سوف تتطور إليه الأمور بعد سنوات من تزايد الفرز الاجتماعي وعودة الطبقات في شكل جديد، بعد أن كانت ثورة يوليو قد قضت عليها، كان الصراع بين بطلي المسلسل وهما شاب ثري وبطل ناضج عامل في مصنع، أما البطلة فهي فتاة من عائلة مكافحة يتزوجها الثري، وفي إطار هذا الثالوث حللت الكاتبة ببراعة قوى المجتمع المتأرجحة بين ماض طريقي وحاضر يعيش رأسمالية جديدة والقيم والمفاهيم التي تحكم كلا الطرفين، وتدفع الحلقة الأخيرة كاتباً سياسياً كبيراً هو الراحل (موسي صبري) إلى الكتابة عنها في مقال بعنوان (بعيداً عن السياسة) موجهاً كلامه إلى كوثر هيكل قائلاً:

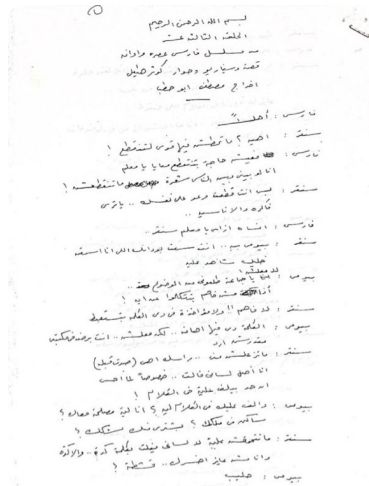
«سيدتي اسمحي لي أن أعترف لك أنني لم أتصور أنك صاحبة قدرة متمكنة وموهوبة في كتابة الحوار بهذه السلاسة التي تمتنع عن بعض من أكبر كتابنا، ثم هذا العمق الكاشف لأسرار النبض الإنساني الذي تحسه أقلام ضخمة في محيطنا الأدبي، لقد تناولت روايتك البديعة موقفاً بالغ المشقة في التعبير بلسان بطليه، رجل في الخمسين، عامل يحترم عرقه الشريف، شهم ابن بلد يعرف الأصول ويحفظ الجميل يرعي بمودته وحنانه مطلقة شابة لم تتجاوز الثلاثين ومعها طفلها الوحيد، إنه لن ينسي أن والدها المتوفي هو الذي علمه الصنعة وهو الذي رعي نشأته وسانده حتى أصبح رئيس العمال في المصنع، كان أليفاً مع ابنته وهي طفلة وكان يناديها بعد أن شبت بأنها (بتتنا). كبرت الطفلة وأصبحت عاملة في المصنع ثم انتقلت إلى عمل كتابي

وأصبحت سكرتيرة لصاحب المصنع وأحبها وتزوجها سرّاً فهي دون طبقته بكثير، ثم اضطر لإعلان الزواج بعد أن حملت منه وأنجبته طفلها وسكنت قصر عمته الذي كان يقيم فيه وكان مستحيلاً أن يستمر الزواج، فهي في أرض غريبة وتطالب بنمط من الأبوة للطفل ليس في طاقته فكان الطلاق، وعادت المطلقة إلى الحارة ومعها طفلها الذي مرض ومات والدتها، واشتدت عليها المحنة ولم يكن لها من سند سوى رئيس عمال المصنع وباختصار تطورت الرعاية الأبوية إلى عاطفة حب كبير حبسه في صدره لأن أمانة عقبات كثيرة أولها كيفية التعبير عنه ثم إنها مطلقة صاحب المصنع الذي يعمل به، فكيف الأمر عندما يعلم... إلخ، لقد كانت الملاحظات الأكثر أهمية على هذا العمل هو أن الحوار تدرج مع تطور الأحداث، وأنه عبر براعة كاملة عن كل شخصية بما لها من خصائص مميزة، طبقية وبيئية وسلوكية، كما أنه تدرج من التعبير العام إلى الخاص، وأن كل شخصية بدت وكأنها خلقت لدورها، وهذا طبعاً جزء مهم من توفيق مخرج العمل الذي أعطى (مصطفى فهمي) دور صاحب المصنع الثري، و(أبو بكر عزت) دور رئيس العمال الشهم، و(إلهام شاهين) دور الفتاة العاملة التي ارتفعت طبقياً بالزواج ثم هبطت بالطلاق، و(أمينة رزق) دور عمة البطل الأرستقراطية، و(صفاء السبع) في دور الفتاة المودرن الباحثة عن صيد سهل بين الأثرياء، ولأن النجاح الكبير منسوب لكل من المؤلفة والمخرج، فقد حصل المخرج هو الآخر على نجاحه الكبير من خلال ما كتب عن المسلسل، ومن ضمن ما كتب أيضاً «أنه من السهل تقديم دراما بسيطة ولكن من الصعب التعبير عن نفوس لها أبعاد نفسية وعقلية متشابكة ومعقدة كشفت عنها الكاتبة في لمسات سريعة وملاحه، وتلك مقدرة هذه الكاتبة وحساسيتها الفائقة».

انتهى الاقتباس من مقال الكاتب الصحفي موسى صبري ولكن لم ينته كلام النقاد عن هذا العمل وأعمال سينائية أخرى، فمن الجدير بالذكر أن عقد الثمانينات ضم أيضاً من أعمال كوثر هيكل فيلمها السينائي المهم (العذراء والشعر الأبيض)، الذي عادت فيه للعمل مع المخرج حسين كمال، والمأخوذ أيضاً عن قصة للكاتب إحسان عبد القدوس، والذي عرض في النصف الثاني من عام ١٩٨٣، وقال النقاد عنه «إن كوثر هيكل استطاعت

أن تقدم دراما شديدة الخصوصية وحواراً أصبح من العلامات المميزة لأي فيلم تقوم بكتابته، لأن كتابة الحوار موهبة خاصة تستلزم الإدراك العميق لأبعاد كل شخصية في المواقف المختلفة، والقدرة على اختيار الكلمات المناسبة، وصياغتها بأسلوب متدفق يقترب من الحياة بقدر ما يعبر عن الدراما.

ولقد أنهت كاتبتنا عقد الثمانينات بمفاجأة جديدة في رحلتها الإبداعية هي كتابتها لأول مسلسل إذاعي (فارس عصره وأوانه) والذي قدمه البرنامج العام في رمضان أبريل ١٩٨٩، وحوله كتب الناقد السينمائي الراحل سامي السلاموني قائلاً: «في هدوء وبدون أي صخب دعائي كنت أتابع فارس عصره وأوانه أول مسلسل تكتبه كوثر هيكل للإذاعة بعد خبرة طويلة في الكتابة للسينما والتلفزيون، ولكن لأن دراما الراديو لغتها الأولى هي الحوار، وهو ما تبرع فيه كوثر هيكل وتتميز به في كل أعمالها، فلقد تميز مسلسل البرنامج العام في رمضان هذا العام بلغة حوار راقية ومكثفة وموحية بالأفكار، وهو ما كان جديداً على نوعية دراما رمضان التي تصور البعض أنها يجب أن تكون خفيفة مسلية ولا شيء آخر.



حلقة من مسلسل فارس عصره وأوانه بخط يدها

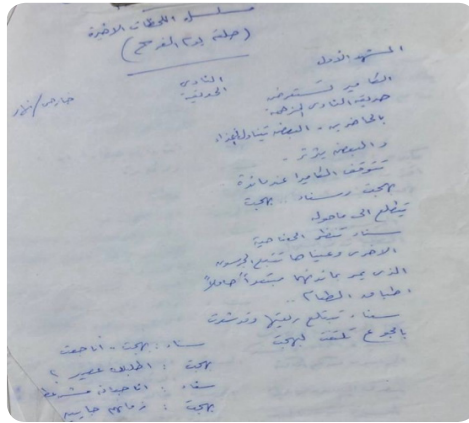
ولكن الموضوع هنا كان جديداً أيضاً، وجريئاً في اقتحام دائرة غير تقليدية من اهتمامات هذا النوع من المسلسلات الإذاعية، وشديدة الصلة في نفس الوقت بتغيير المفاهيم والعلاقات في مجتمعنا، بل وبها يشغل العالم كله مثل مشاكل البيئة وأزمات العالم الثالث.»

مدرسة كوثر هيكل

في عقد التسعينات استكانت كوثر هيكل للإدارة التلفزيونية، حيث تولت في بداية عام ١٩٩١ منصب رئيس القناة الأولى، أكثر القنوات بروزاً باعتبارها القناة الرسمية التي تتطلب إدارتها بذل مجهود ضخم لحفظ التوازن بين البرامج السياسية والإخبارية، وبين بقية نوعيات البرامج، يومها وجهت مجلة روز اليوسف رسالة إليها مصحوبة بصورة بورترية فيها الكثير من ملامحها التي يسودها التساؤل والدهشة والتأمل، وقال كاتب الرسالة «كوثر هيكل موهبة إبداعية وإنسانية تمشي على قدمين، لا تحترف الدعاية، ولا تساوم على نشر أخبارها في الصحف والمجلات، لم تستغل القناة التي ترأسها في الدعاية لها، بل راحت في صمت مذهل تطور البرامج وتوحد القلوب، وتدفع بالأجيال الجديدة حتى وأستطيع أن أقول أنها فتحت مدرسة تلفزيونية في ماسبيرو، المبنى الذي يحتلظ فيه الموظف بالمبدع، وكتاب السيناريو بكتاب العرائض والشكاوى.



استمرت كوثر هيكل في منصبها حتى يوليو ١٩٩٤ وبعد عام تولت منصب نائب رئيس التلفزيون، واستكانت أيضاً إلى ممارسة أعبائه حتى بدأ أصدقاؤها يذكرونها بإبداعها الذي تركته، وهنا دخلت في مغامرة إبداعية أخرى، مسلسل بعنوان (اللحظات الأخيرة) منفصل متصل، فكرته تدور حول الأحلام الكبيرة للمرأة في كافة المستويات الاجتماعية التي تنتهي إليها أو تقع ضحيتها، ١٥ حلقة قدمت خلالها نماذج النساء اللواتي نراهن في الحياة ولا يخطرن ببالنا، لكن أسباباً إنتاجية حالت دون إنتاج سوى ثلاث حلقات منها.



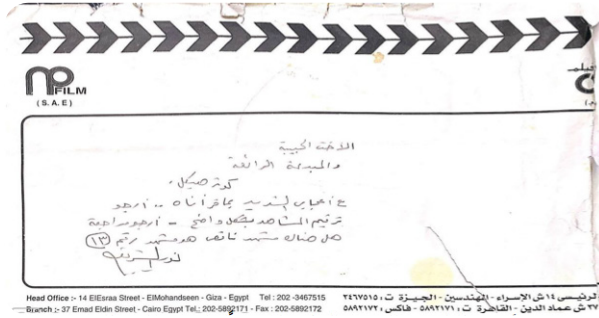
من سيناريو مسلسل اللحظات الأخيرة بخط يدها

كانت بطلة الحلقة الأولى مغنية أرادت أن تترك كل شيء من أجل طبيب شاب أحبته، وبطلة الثانية خادمة تحولت إلى لصة فيلسوفة، وبطلة الثالثة امرأة تعاني من خديعة زوجها، قامت ببطولتها الفنانة نجلاء فتحي مع كمال أبو ريه، وعرضت في النصف الثاني من رمضان في يناير ١٩٩٩، وفي الحلقات الثلاث نكتشف كيف طورت الكاتبة قدرتها الإبداعية في عملها عبر مشاهد قصيرة معبرة عن مرور الزمن، وحركة الشخصيات واتجاهها، لا حوار زائداً أو مشاهد بلا ضرورة، ثم الحوار الجميل الموجز والنقلات السريعة والأداء الرائع للممثلين، ثم تلك المقدرة على التعامل مع نفسية

المرأة، أخرج السهرات أحمد يحيى ومحمد خان مخرجا السينما للذنان يتعاملان للمرة الأولى مع الدراما التلفزيونية.

العاشقان والحب في زمن المصالح

في واحد من أعمالها الجميلة استطاعت كاتبتنا أن تتوقف عند منطقة لا تتوقف عندها السينما أو التلفزيون، لتضع يدها على موقف إنساني عميق بحكم نوعية أبطاله، هو موقف العلاقة العاطفية بين الرجل الناضج والمرأة الناضجة، وفي تحليل بارع لتلك العلاقة تحيلنا إلى الموقف الخاص للبطلين تجاه الحب، والذي يختلف جذرياً عن مواقف المراهقين والشباب في بعده عن الجموح والرومانسية الزائدة والتهور، إنه الحب من موقف الاكتمال أو شبه الاكتمال الذاتي الذي يستشعره هؤلاء الذين تكاملت شخصياتهم الاجتماعية والإنسانية ووصلوا إلى مواقع مهمة في عملهم، واستقرار بل ثبات أسري، يجعل عقولهم تعمل ألف حساب لكل حركة.



أحد خطابات نور الشريف لكوثر هيكل مدوناً عليه بعد الملاحظات إنهم أبطال (العاشقان) الذي عرض في بداية ٢٠٠١ وهو أول إخراج لنور الشريف الذي لعب بطولته أيضاً أمام بوسي، وكان الاثنان أيضاً هما نجما فيلم (حبيبي دائماً) لكوثر هيكل قبل إحدى وعشرين عاماً والذي أصبح الفيلم الأشهر في قائمة السينما الرومانسية، لكن الكاتبة فرقت بين بطلها الشاين بموت البطلة في عام ١٩٧٩، لتعود عام ٢٠٠١ لتقدم الفرق بلغة العصر وبلغة العمر، ففي هذا العصر المادي تصبح المصلحة

فوق الحب، ويرفض الحبيب أن تتفوق عليه امرأة في العمل وتعلوه، حتى ولو كانت حبيبته، فما بالنالو رشحت نفسها أمامه، أما هي فترى في نفسها المقدرة والثقة علي التقدم، وتحقيق نجاحات متتالية تستحقها فلم لا، لم تعد القضية أنها تسعد لنجاحه فقط مثلما كان الحال في الماضي، إنما أصبح عليه أن يقبل نجاحها، وأن يوافق عليه وأن يتنازل عن ذاته المتضخمة في عالم يشعل المنافسة بين الجميع من أجل رفع راية العمل وصاحبه.

كوثر هيكل هي أول من قدم الحب في زمن التحول إلى النظام الاقتصادي الحر وخصخصة وبيع المصانع والشركات، وهي تلفت النظر إلى أن الجميع عليهم أن يغيروا من أنفسهم، وأن يتفقوا على عقد اجتماعي جديد حتى تسير الحياة في توافق، وكي لا يقعوا ضحايا قوانين الخصخصة فتدفعهم إلى معارك قاسية يتنافسون فيها بلا رحمة فيقطعون أواصر المودة والمحبة، وبدلاً من أن يقفوا معاً في خندق واحد، يخيل إليهم أن الآخر هو العدو، وأن النجاح لا يقبل شريكاً، وهو ما حدث لبطل الفيلم صلاح الذي رفض أن تشاركه حبيبته سعاد النجاح، وأن تتفوق في العمل، وأن تنافسه في الانتخابات واعتبرها في النهاية عدواً.

إعادة اكتشاف صاحبة «حبيبي دائماً» أيمن الحكيم

- كوثر هيكل .. الكاتبة التي عدّلت أفكار إحسان عبد القدوس
- قضت ٣ شهور في بولندا لتعلمهم صناعة «سينما إنسانية»
- المخرج المجنون الذي غير مصيرها .. مهنيًا وعاطفيًا
لقاء واحد وحيد جمعني بها ، لكنه كان كافيا وكفيلا لأن أدرك معه أنني
أمام سيدة عظيمة، بكل معاني العظمة ومرادفاتها..
كان ذلك في العام ٢٠٠٧، وكانت هي المرة الأولى التي تخرج فيها من شرنقة
أحزانها الواعرة وحدادها البليغ على حبيب عمرها ورفيق حياتها، الرجل
الذي تزوجته ٤١ سنة، كان فيها رجلها وسندها وعزوتها وأبو بناتها والمتوج
على عرش قلبها، وقتها كنت أنشر سلسلة عن «غرام المبدعين»، وقدرت أن
لديها تجربة في الغرام متفردة تستحق السعي إليها، ولولا وساطة مخلصه من
صديقنا الكاتب المرموق د. خالد منتصر (زوج ابنتها) بكل ما تحمله له من
محبة وتقدير، ولولا أن الحوار يخص الحبيب الذي يسكنها وترفض الاعتراف
برحيله.. ما جلست إليها وما سعدت بحوارها.

يومها حكّت كوثر هيكل وتجلّت، وعلى امتداد ساعات متصلة تدفقت
ذكرياتها، واستعادت أيامها مع أبوبكر عزت، الزوج والحبيب والفنان ،
الذي خدعها ورحل على حد تعبيرها المدهش، كما حكّت جزءاً من سيرتها
الإنسانية والمهنية، وخرجت من عندها بانطباع مسيطر، بأن هذه السيدة
تجربة تستحق أن تروى، بما تحمله من معانٍ وما حققته من إنجاز وما تركته
من إبداع وما عاشته من زمن.

وكنت أتمنى أن يكون الإنصاف لهذه الكاتبة المبدعة في حياتها وعلى عينيها
لتدرك أن ما قدمته لم يكن هباءً منثورًا، أما وأنا قد غادرت دنيانا مؤخرًا
فلنسعد روحها على الأقل، وأن تأتي متأخرًا أفضل من أن لا تأتي أبدًا.

(١)

كتاب حياة سيدة الكتابة الدرامية بدأت فصوله بدراما تراجيدية، كان

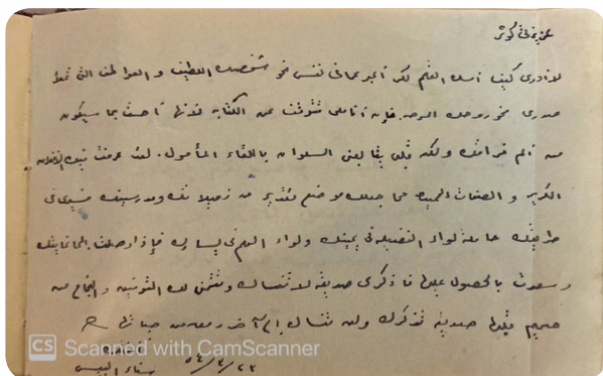
والدها في ياور الملك، وبحكم وظيفته كان عليه أن ينتقل في شهور الصيف مع الملك لقر إقامته الصيفي بالإسكندرية، ولأن الفترة طويلة كان عليه أن يصطحب معه أسرته، وفي واحدة من تلك الانتقالات الإجبارية ولدت كوثر هيكل بالإسكندرية (نوفمبر ١٩٣٧)، لتكون بنت الشهور السبعة هي آخر العنقود، ولتبدأ الدراما الصاخبة بعد ميلادها مباشرة، إذ كتبت عليها الأقدار أن تحرم من والدها، الذي رحل فجأة تاركاً كوثر في «اللفة»، ومعها شقيقتها الأكبر: درية وثريا، وشقيق وحيد «أحمد» الذي تخرج في الكلية الحربية فيما بعد (دفعه اللواء عمر سليمان) وكان من الضباط الذين أرسلوا للحرب في اليمن.

وكان على الأم، السيدة ذات الأصول الريفية، التي لم تنل قسطاً من التعليم، وتنتمي لأسرة من الوجهاء وأصحاب الأملاك، أن تحمل مسؤولية تربية الأبناء الأربعة بمفردها.

ترك «اليتيم» أثراً بليغاً في نفس الصغيرة كوثر، وأدركته عملياً عندما التحقت بالمدرسة ولاحقها السؤال المزمّن: بابا بيشتغل إيه؟، ولما استعانت بأُمها كانت نصيحتهما: اللي يسألك قولي له بابا متوفي، وفي المدرسة كانت كوثر ترد بثقة: بابا بيشتغل متوفي!، ولم تفهم سر الضحكات التي تتعالى في الفصل بعد هذه الإجابة!

لكن اليتيم لم يكسر روحها المرحّة ومحبتها للحياة، وفي مدرسة العباسية تفوقت التلميذة كوثر هيكل بخفة ظلها ومواهبها الفنية، وفتت هذه الموهبة نظر مُدرستها لطيفة الزيات - التي صارت فيما بعد أديبة ذائعة الصيت - فكانت تطلب منها في نهايات الحصص الدراسية أن تقف علي «الدسك» وتؤدي فاصلاً من الغناء والرقص، وفي مرة ضبطتها ناظرة المدرسة في أثناء مرورها، فغضبت واثارت وعاقبت لطيفة الزيات!

وفي فصل كوثر هيكل بمدرسة العباسية زميلات قدر لعدد منهن أن يصحن شهيرات فيما بعد، يكفي أن نذكر منهن الكاتبتين القديرتين سناء البيسي وصافي ناز كاظم، ونجمة السينما آمال فريد التي كانت بطلة لواحد من أشهر أفلام عبد الحليم حافظ.



كلمة في الأوتوجراف كتبها لها سناء البيسي زميلة الدراسة

وبعد التوجيهية ذهبت كوثر هيكل -باختيارها - لتلتحق بقسم الاجتماع في كلية الآداب/ جامعة القاهرة، جذبتها دراسة الفلسفة وعلم النفس والاجتماع، وهو الأمر الذي ميزها بعد ذلك ككاتبة لها قدرة على الغوص في النفس البشرية وتحليلها وتشريحها.. عن علم وإدراك ومعرفة.

وفي الجامعة ارتبطت بشلة من الطلاب المبدعين، كانوا يجتمعون في بوفيه كلية العلوم يحملون بالغد، كان منهم بليغ حمدي الموسيقار الفذ والطلاب بكلية الحقوق يومها، والمأمون أبو شوشة الطالب بكلية العلوم والإذاعي الشهير فيما بعد، والمايسترو يوسف السيسي الذي كان غارقاً لأذنيه في قصة حب مع واحدة من عضوات الشلة.. وكان هناك الطالب أبوبكر عزت الذي كان يكبرهم بسنوات سبقهم فيها للدراسة بقسم الاجتماع بكلية الآداب، ولفتت كوثر هيكل نظره بجملها الهادئ وثقافتها العالية وذكائها الملفت وحضورها الإنساني الطاعني، لكنها لم تلتفت لمغازلاته، وبالأدق يمكن أن نقول أنها صدته بلباقة، فلم تشأ أن تكون واحدة من المعجبات، وكان «بكر» يومها || بخفة ظله وجاذبيته وحضوره وقامته الممشوقة والتجومية التي تنتظره كطالب منتسب لمعهد الفنون المسرحية || هو بحق ساحر بنات الجامعة، فتنافسن للاستحواذ عليه، وكانت سمعته كدنجوان تملأ أسوار الجامعة وتتخطاها، فخشيت كوثر الاقتراب حتى لا تطولها الشائعات

والألسنه، لكنها لم تكن تعرف أنه قدرها الجميل.. ونصيبها المحتوم .

(٢)

بعد تخرجها في كلية الآداب قررت كوثر هيكل أن تقتحم عالم الصحافة، وذهبت بلا واسطة ولا موعد سابق تطرق باب الأستاذ فتحي غانم في «روز اليوسف»، وأعجبه جرأتها وطموحها ولمس فيها الذكاء والموهبة، وكانت عند حسن ظنه فنشر لها موضوعين، وبدا لها أن مصيرها قد تحدد، ولكن سيناريوهات السماء كان لها رأي آخر وطريق مختلف.

قادتها المصادفة ذات صباح إلى بيت جارهم الإعلامي سعد لبيب، وبحكم الجيرة والعلاقات الأسرية سألها عن أحوالها، وفوجئت به يعرض عليها العمل في التلفزيون، الجهاز الجديد الذي لم يولد بعد، وأعجبته الفكرة واستفزت موهبتها، وهكذا وجدت نفسها في «ماسيرو» ولم يكن المبنى قد اكتمل بناؤه، وكان عليها أن تدخله من بين «السقالات» !

لمست سيدة ماسيرو الحديدية تماضر توفيق تميزًا خاصًا لدى الشابة كوثر هيكل في الجانب النفسي والاجتماعي بحكم دراستها واهتماماتها، فأسندت إليها إعداد البرامج المعتمدة على التحليل النفسي، وجاء الصحفي الشاب أنيس منصور ليشاركها في الإعداد، وأثبتت كوثر هيكل كفاءة وثقافة حقيقية أهلتها لبرنامج فارق في تاريخ التلفزيون وتاريخها، ونقصد به «يوم في حياة»، وكان إلى البرامج التسجيلية أقرب، بل هو الرائد في مجاله، وفي كل حلقة كانت ترصد بالكاميرا يومًا في حياة صاحب مهنة أو حرفة : صياد ، عامل بناء ، ممرضة ، قبطان ، خباز ..

وفي هذا البرنامج ظهرت موهبة كوثر هيكل الدرامية من خلال اللمسات التي كانت تضيفها على كل حلقة، خيالها الجامح مثلاً صور لها أن تختم حلقة عامل البناء بأن يتجه نحو باب العمارة التي بناها طوبة طوبة فيمنعه حارسها من الدخول، وهي لمسات لفتت نظر رئيس التلفزيون البولندي عندما جاء لزيارة مصر وشاهد حلقات من هذا البرنامج، وطلب أن يلتقى بصانعه، وفوجئت كوثر هيكل باستدعاء عاجل إلى مكتب تماضر توفيق، وتضاعفت مفاجأتها ودهشتها عندما راح رئيس تلفزيون بولندا يقدم لها دعوة لتأتي

إلي بلده ليتعلموا منها كيف تمنح البرامج التسجيلية الجامدة هذه الروح الإنسانية وتلك اللمسة الدرامية فتجعلها بهذه الروعة والجاذبية.. وفي زمن كانت علاقة مصر بدول الكتلة الشرقية في أوج تألقها وقوتها ما كان يمكن لكوثر هيكل أن ترفض، فسافرت إلي «وارسو» في مهمة طالت لثلاثة شهور، جلس خلالها مخرجو بولندا يتعلمون من كوثر هيكل كيف «تؤنس» السينما التسجيلية !

(٣)

وجدت كوثر هيكل نفسها في مكتب واحد مع مخرج شاب كان عائداً لتوه بعد أن درس الإخراج السينمائي في أشهر معاهد السينما بفرنسا، وسبق له أن يصبح واحداً من أبرز مخرجي السينما المصرية.. اسمه حسين كمال.

لفت حسين الأنظار سريعاً إلي موهبته المتفجرة، وهو ما تجلّى في بواكير أعماله مثل « المعطف»، وكأن الأقدار كانت تدفعه إلي طريق كوثر هيكل ليكون سبباً في تغيير مسارها ومصيرها.. فنياً وعاطفياً!

جمعت الكيمياء سريعاً بين المخرج الطموح والكاتبة الموهوبة، كلاهما وجد ضالته في الآخر، أعجبها فيه جنونه الفني، الذي وصل إلي بناء حمام سباحة في استديو التلفزيون، وجاء رئيس التلفزيون إلي الاستديو ويفاجئه المنظر ويقف مذهولاً أمامه، لكنه في النهاية رضخ لرؤية المخرج المجنون بعدما أقنعه بضرورته الفنية !

وقبل الجنون الفني وبعده فهو «اسكندراني»، من نفس المدينة الساحرة التي ولدت فيها وانتمت إليها نفسياً وروحياً وأجبت كل ما يرتبط بها.

أما حسين كمال فأحس أنه أمام كاتبة تمتلك خيالاً غير تقليدي، ومعرفة حقيقية بالمجتمع المصري، وجملة حوار رشيقة تستوقف الأذن وتدخل القلب.. وكانت بداية التعاون في سهرة تلفزيونية اسمها «لقاء» ثم « لمن نحيا»، تجارب دشنت كوثر هيكل كأول كاتبة للدراما التلفزيونية، فتحت الباب بعدها لموهوبات في قيمة وفيه خيرى وفتحية العسال.

كانت موهبة حسين كمال أكبر من سهرات تلفزيونية، فخطفته السينما ليكون من أبرز مخرجي جيله، وفي السينما لم ينس حسين كمال جوكر السينما

المصرية وفتاها المدلل كما كان يسميه سامي السلاموني الناقد السينمائي الأشهر زميلته في المكتب وشريكة خطوات نجاحه الأولى، فجاءت كوثر هيكل لتشكّل معه ثنائياً مدهشاً وتجربة متفردة على شاشة السينما .

ورغم أن عدد الأفلام التي جمعت بين حسين كمال ومخرّجاً وكوثر هيكل كاتبة تعد محدودة عدداً ولكنها صارت من أيقونات السينما المصرية وأكثرها روعة وتأثيراً، يكفي أن تذكر عناوين الأفلام لتدرك أننا أمام جواهر خالدة: امبراطورية ميم ، العذراء والشعر الأبيض ، على ورق سلفان.. وفي القلب منها « حبيبي دائماً» بيضة الديك في تلك التجربة.

كان حسين كمال يرى ويعلم أن كوثر هيكل هي أفضل من يكتب الحوار في الأفلام الرومانسية والاجتماعية ، ولم يكن يكتفي بالحوار مكتوباً ، بل يصّر على أن تسجله كوثر بصوتها، ليسمعه بحسها وإحساسها، فكل كلمة لها إيقاعها ومعناها ودورها وجرسها، ولا شيء عندها متروك للصدفة .

ولابد من الإشارة إلى أن كوثر هيكل في خلال تجربتها مع السينما لم تنس أبداً أنها ابنة التلفزيون المصري وقيمه وتقاليده وأصاليته، فلم تسمح لضميرها أن تقدم مشهداً فيه خروج عن قيم الأسرة المصرية، وهو ما تجلّى مثلاً عندما كتبت سيناريو وحوار «العذراء والشعر الأبيض» المأخوذ عن قصة لإحسان عبد القدوس، فقد أصرت على تعديلات في الرواية رأت أنها ضرورية وواجبة، ففي القصة الأصلية كانت هناك إشارات واضحة لوجود علاقة محرمة بين البنت وزوج الأم، وهو ما رفضته كوثر هيكل ودخلت في خلاف مع إحسان، وصممت أن تنصّر لضميرها ولقيم المجتمع .

كانت كوثر هيكل صاحبة موقف ورؤية وليست مجرد «صناعية» تحول رواية إلى سيناريو، إنها تبحث عن العمق والمعنى قبل الجاذبية التجارية وغرائز الجمهور، ولذلك شهد يوسف إدريس لها بأنها أفضل من فهم المغزى من رواياته ووضعت يدها على ما بين السطور، وهو ما تجلّى في سيناريو «على ورق سلفان» ، الذي صارت بعده من أقرب أصدقاء يوسف إدريس، وربطتها به علاقة أسرية شملت زوجته وأبناءه.

وكما كان حسين كمال كلمة السر في تجربتها السينمائية، كان كذلك كلمة

السر في تجربتها العاطفية.. وكان الجسر الذي قادها إلى حبيب عمرها أبو بكر عزت.. وتلك قصة تستحق أن نروي تفاصيلها.

(٤)

تسبب حسين كمال، المخرج المجنون العبقرى، في تغيير مسار ومصير حياة كوثر هيكل، المهني والإنساني، فهو الذي اكتشف فيها تلك الموهبة الأصيلية في الكتابة الدرامية، وأعطاهها الفرصة لتكون شريكته في أيقونات سينمائية خالدة، جعلها رغم قلة أعمالها - واحدة من أبرز كاتبات السيناريو والحوار في السينما المصرية ..

وهو كذلك حسين كمال الذي تسبب دون أن يقصد في أن تتقاطع حياتها مع هذا الفنان الذي أصبح سيد قلبها وحبيب عمرها وشريك رحلتها. المدهش أن علاقة كوثر هيكل وأبو بكر عزت بدأت متوترة لا ود فيها، ولا تشي بداياتها بما آلت إليه في النهاية من عشق كان مضرب الأمثال.

فقد كان «بكر» زميلها في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وكانت سمعته كدنجوان وساحر للنساء تسبقه، ولهذا السبب وجدت نفسها تنفر منه وتبتعد عنه وتتحاشى حتى الكلام معه أو مجرد السلام عليه، حتى لا يطولها رذاذ الشائعات وجلسات النيمة!

كان يسبقها بسنوات قليلة في الدراسة وتخرج قبلها وكادت تنساه لولا أن وجدته يظهر في حياتها من جديد بعد التحاقها بالعمل في التلفزيون، حيث أصبح ضيفاً دائماً على مكتبها، وبالأدق على شريكها في المكتب المخرج الشاب حسين كمال، صديق بكر وبطله في أعماله الدرامية الأولى.

وواصلت كوثر موقفها القديم من بكر، فتتحاشى السلام والكلام في وجوده، ولم تستجب لمغازلاته وملاطفاته ومحاولاته للقرب منها ولفت نظرها لإعجابه بها، وهو الأمر الذي يبدو أنه استفزه كثيراً وأشعل في قلبه نار الحب تجاهها، لكنه ظل لفترة حياً من طرف واحد، إلى أن قرر أن يفاتحها بحبه، وسنحت له الفرصة عندما تعمد أن يجلس بجانبها في حفل أقامه أصدقاء حسين كمال للاحتفال بنجاح مسرحيته الجديدة «الناس والبحر».

وفي تلك السهرة على شرف حسين كمال فوجئت كوثر بوجه آخر

لبكر، وجهه الحقيقي الذي يحاول جاهداً أن يخفيه وراء تلك الحياة العابثة والغراميات الملتبته والابتسامة التي لا تفارق وجهه والنكات المتصلة على لسانه، فوراء الابتسامات والنكات والغراميات كان صاحبها يعيش مأساة بمعنى الكلمة .. !

حكى لها بصدق كامل وصراحة مدهشة تفاصيل مأساته التي بدأت بعد شهرين فقط من وصوله إلي الدنيا، فقد رحل والده فجأة، وضرب مرض غريب عقل والدته فأفقدتها الذاكرة، فأصبحت لا تتعرف عليه وهو ابنها الذي يعيش معها في بيت واحد، ثم أنه كان عليه أن يعمل بجوار دراسته ليوفر مصاريف العلاج الباهظة لمرض الزهايمر الذي تعانیه أمه منذ سنوات طويلة، ورغم انشغاله في الدراسة بمعهد الفنون المسرحية.

ورغم طموحاته وأحلامه العريضة كممثل، فإنه ارتضى أن يعمل مدرساً في المعهد الفني الصحي، وما تراه من حياة عابثة ما هي إلا محاولة للهروب من هذه المأساة التي يعيشها كل يوم.

ووجدت كوثر نفسها تتعاطف معه وتشاركه المأساة، ربما لأنها هي الأخرى ذاقته مثله مرارة اليتيم منذ طفولتها.

وسرعان ما تحول التعاطف إلي حب جارف، وأصبح «بكر» هو اختيارها الوحيد، ودخلت من أجله في معركة مع أسرهما لتقنعهم بالموافقة على زواجهما من فنان.. ومفلس كمان !

وكما بدأت قصة حبها وزواجهما من أبو بكر عزت بطريقة درامية ومثيرة، فإن النهاية كانت أكثر إثارة وغرابة، فبعد ٤١ سنة زواجاً سبقتها سنة خطوبة، اختار أبو بكر عزت أن يرحل فجأة وفي يوم عيد زواجهما، في مشهد عجز خيالها وهي المؤلفة المرموقة أن يستوعبه، فقد كان أغرب من الخيال !

(٥)

على أي حال منحها ارتباطها بالرجل الذي أحبته حالة من الاستقرار النفسي والعائلي كان بالقطع سبباً قوياً في تألقها: المهني ككاتبة سيناريو، والوظيفي كواحدة من أبرز قيادات التلفزيون المصري .



فإلى جانب تجربتها المهمة في السينما مع حسين كمال ، كان لها كذلك بصمات واضحة في الدراما التلفزيونية ، ومن المؤكد أن الجمهور المصري الذي تابع بشغف بدايات الدراما لن ينسى أعمال كوثر هيكل الأولى، سواء أفلامها التلفزيونية أو مسلسلاتها ، بداية من «وصية زوجتي» و«تفضلوا بقبول الحب» الذي كان سبباً في اكتشاف وجوه جديدة لمعت فيما بعد مثل ليلي علوي وإسعاد يونس ومجدي إمام .

وكان أبو بكر عزت حاضراً دائماً في أعمالها الدرامية ، وبطلاً لأغلبها، وفي القلب منها «مكان في القلب» أمام إلهام شاهين، وهما كذلك بـ «بكر وإلهام- كانا بطلا «على نار هادئة» آخر عمل يجمع كوثر هيكل كاتبة وأبو بكر عزت ممثلاً.

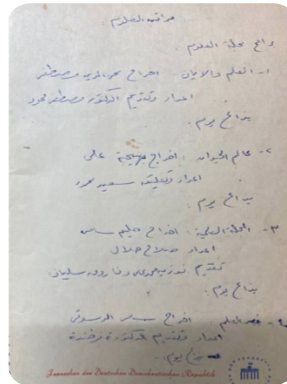
لكن تبقى أيقونة مسلسلاتها «عصفور في القفص» الذي حصلت عنه على جائزة الدولة التشجيعية ١٩٨٢، في سابقة كانت تحدث لأول مرة، فلم يسبق أن حصل نص تلفزيوني على الجائزة ، فالمعتاد قبلها أن تمنح لرواية أو كتاب، لكن لجنة الجائزة برئاسة الكاتب والشاعر الكبير عبد الرحمن الشرقاوي رأت أن المسلسل بفكرته ومعالجته يستحق الجائزة.. وعن جدارة.

وفوق الجائزة فإن المسلسل كان مباراة ممتعة في الأداء بين أبو بكر عزت وسناء جميل، وصلا فيها إلى ذروة أثارت الإعجاب، واعترفت سناء جميل أنه واحد من أروع أدوارها على الإطلاق .

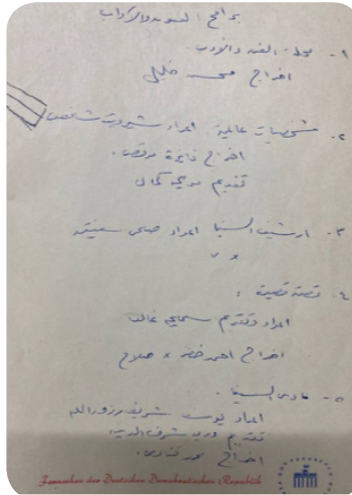
قلة أعمال كوثر هيكل (١٩٣٧ / ٢٠٢١)، مقارنة بموهبتها وشهرتها، كان اختياراً منها في الأساس، فبلغة السوق كانت «نمكية» جداً، يستغرقها العمل زمناً، وتجوّد فيه حتى ترضى عنه وتوافق على أن تضع عليه اسمها، إن كل حرف تكتبه كانت تحرص على أن يكون له قيمة، ولذلك تميزت بحواراتها المكثفة التي كانت أشبه بطلقات الرصاص.. أضف إلي ذلك كبريائها واعتدادها بموهبتها، فكانت مستعدة لأن تستمع لوجهة نظر المخرج وتقبل ملاحظاته الوجيهة، فإذا ما جرى الاتفاق ودارت الكاميرات لا تسمح لأي مخلوق بأن يعدّل حرفاً في السيناريو، وهناك وقائع عديدة لأعمال قررت أن توقف تصويرها وتعيدها إلى أدراج مكتبها بعدما تجرأ مخرجها أو منتجها على التدخل في السيناريو دون الرجوع إليها.. إنها «جريمة» في رأيها لا تغتفر!

(٦)

مسيرة كوثر هيكل الوظيفية كانت هي الأخرى مبهرة، فبعد بداياتها الملفتة في البرامج النفسية والتسجيلية، ترقّت حتى وصلت إلى رئاسة إدارة البرامج الثقافية في القناة الثانية، وخلاها قدمت البرامج الثقافية الأهم والأكثر تنوعاً في تاريخ التلفزيون، وكانت بصماتها واضحة في تلك البرامج التي ما زالت حاضرة في الذاكرة، يكفي أن نذكر منها: الموسيقى العربية، عالم البحار، فن البالية.. والثابت أنها كانت صاحبة أفكار أشهر البرامج السينمائية في تاريخ التلفزيون، فهي التي اقترحت على يوسف شريف رزق الله فكرة برنامج «أوسكار» الذي قدمته سناء منصور لسنوات.



خريطة البرامج
الثقافية بخط يدها



خريطة البرامج بخط يدها

وعندما انتقلت لرئاسة القناة الأولى اقترحت على عبد الرحمن علي فكرة برنامجه «سينما لا تكذب ولا تتجمل» ، كما تحمست لبرنامج «زووم» الذي قدمته سلمى الشاع ، وبرنامج آخر يعيد اكتشاف كلاسيكيات السينما تولى إعداده علي أبو شادي وكمال رمزي ، تسببت حلقة الأولى في أزمة كادت تعصف بالبرنامج قبل مولده، إذ وقع الاختيار على فيلم من بدايات السينما المصرية، وهو فيلم «الاشين» الذي كانت أحداثه مليئة بالألغام والإسقاطات السياسية، فتسببت الحلقة في ضجة وفي اتهامات بأن «اليساريين» يتسللون بأفكارهم إلى الشاشة !

وفي فترة رئاستها للقناة الأولى ساهمت كوثر هيكل في صناعة نجوم جددًا من جيل الشباب، كان منهم جمال الشاعر وأحمد مختار، كما ساهمت في إعادة اكتشاف فريال صالح وراوية راشد.

وظلت تواصل عطاءها حتى خروجها على المعاش في نهايات التسعينيات.

(٧)

ارتبطت كوثر هيكل بعلاقات صداقة واسعة ، لكن دائرة أصدقائها المقربين كانت مختارة بعناية، ويحكي لي د. خالد منتصر الكاتب المعروف

وزوج ابنتها سماح والذي اعتبرته بمثابة ابنها: في صداقاتها المهنية ستجد على رأس القائمة حسين كمال وصلاح أبو سيف والمخرج محمد شاكر ويوسف مرزوق، وحتى كتاب سيناريو مثل وحيد حامد، فكان من أقرب أصدقائها وعلى اتصال دائم به ومن المعجبين بنجاحه وتميزه ولم تشعر لحظة معه بأي غيرة أو منافسة.

وعلى المستوى الإنساني كان الأقرب إليها فاروق شوشة وآمال العمدة، ولذلك كانت تحرص على أن توفق إجازتها الصيفية السنوية لتكون رحلة عائلية ثلاثية: هي وأبو بكر عزت، آمال العمدة ومفيد فوزي، فاروق شوشة وهالة الحديدي.. وسافروا أكثر من مرة إلي بلغاريا وقت أن كان أشقاء فاروق شوشة يدرسون هناك لدرجة الدكتوراه.. لكن غالبًا كان مصيفهم في العريش، مدينتهم المفضلة، وفي فندق بعينه.

وكانت نجلاء فتحى من أقرب صديقاتها في الوسط الفني، ولها مع نجلاء تجربة مدهشة في مسلسل لم يُصور منه سوى ثلاث حلقات فقط اسمه «اللحظات الأخيرة»، كانت فكرته أن تكون كل حلقة بنجم ومخرج مختلف، ومن بين المخرجين الذين تم الاتفاق معهم للمشاركة في العمل: محمد خان وعاطف الطيب.. ولكن المسلسل توقف بعد ثلاث حلقات فقط لأسباب إنتاجية.

(٨)

وعلى مستوى المثقفين والأدباء كان أنيس منصور هو الأقرب لقلبها، خاصة وقد عرفته في بدايات مشوارها وشاركها في الإعداد التلفزيوني، وكان لتعمقه في التحليل النفسي من أسباب هذا القرب.

وربما للسبب نفسه كان إحسان عبد القدوس هو كاتبها الروائي المفضل، وكانت ترى أنه من أعمق الذين غاصوا في المجتمع المصري والنفس البشرية، وكانت على قناعة أنه لم يأخذ حظه من التقدير والاهتمام النقدي، بحكم أن نقاد اليسار الذين سيطروا على الساحة الثقافية والنقدية طردوه من جنتهم لأسباب أيولوجية وغير موضوعية!

وبالطبع كانت تعشق نجيب محفوظ رغم أنها لم تتعامل معه.. ومن الأجيال

التالية كانت تحمل إعجابًا خاصًا بالمنسي قنديل ، خاصة وأنها عرفته خلال زواجه من تلميذتها راوية راشد.

المدهش أن آخر كتاب قرأته، وطلبت نسخته بالذات من د. خالد منتصر، هو كتاب د. فرج فودة الشهير « الحقيقة الغائبة » !

وليس سرًا أن كوثر هيكل كان لها موقف واضح من الإسلام السياسي، فقد عارضت المد الوهابي ورأت أنه خطر على الهوية المصرية، بل رأت أنه تجارة بالدين لا تليق بعظمة الإسلام، ودخلت مرة في معركة مع واحد من رموز هذا التيار وهو الشيخ صلاح أبو إسماعيل، وفي فترة رئاستها للقناة الأولى عارضت إذاعة التلاوات القرآنية بأصوات خليجية التي كانت قد راجت وقتها، وأصررت أن المدرسة المصرية في التلاوة ورموزها مثل عبد الباسط ورفعت ومصطفى إسماعيل والمنشاوي هم الأقرب للروح والذوق المصري.

ورغم أنها عاشت زمن المد الناصري، ورغم صداقاتها القوية مع دراويش من الناصريين، إلا أنها ظلت محافظة على استقلاليتها، فلم تنتم لحزب أو تيار سياسي، فقد كان انتماؤها الوحيد للوطن.. للوطن وحده.

(٩)

قبل رحيلها كان لكوثر هيكل وصية وحيدة وقاطعة، وهي أن تُدفن إلي جوار حبيب عمرها وشريك حياتها أبوبكر عزت.. في المقبرة التي كان بكر قد اشتراها على طريق الواحات، وفي اليوم نفسه والمكان نفسه مع صديق عمره الفنان القدير صلاح السعدني متعه الله بالصحة وطول العمر.

رحلت كوثر هيكل.. لكن أعمالها ستبقى طويلاً في وجدان المصريين .

كوثر هيكل مع عصفورها فى قفص الأبدية! طارق الشناوي

كلما التقيتها أحاول أن أستمع إلى حديثها الممتع المرصع بالحكايات الشيقة والمبهجة، عن حبيبها الذى صار زوجها وملهمها الفنان الكبير أبو بكر عزت.

فى السنوات الخمس الأخيرة لم أعد ألتقيها، واحترمت صمتها، ولم أسأل حتى صديقى د. خالد منتصر زوج ابنتها الكاتبة سماح أبو بكر، ظلت الكاتبة الكبيرة كوثر هيكل تحتل فى قلبى مساحة دافئة، وكان لدى من حسن حظى مساحة تسمح لى بأن أبحر معها مع أحلى وأهم إنسان عاشت معه نحو ٣٠ عامًا، وعاش بعدها فى وجدانها ١٥ عامًا، فأنا أيضًا أحببت الأستاذ أبوبكر فنأنا وإنسانًا.

دائمًا أكتشف فى كل حوار لى مع كوثر هيكل أن أبو بكر يجلس بجوارنا، ويزداد مع الزمن حضورًا ووحشة، ترى الحضور فى نظرات عينها وتسمع الوحشة فى نبرات صوتها، هو من أول من أطلق تعبير حزب (الكنية)، كان هو وصديقه الحميم صلاح السعدنى يتبادلان هذا (الإيفيه)، بعد أن زادت مساحات بقائهما فى المنزل فصار الاسم الحركى لكليهما (كناوى).

كوثر لا تعترف أبدا بالكنية فهى دائما فى حالة نشاط ذهنى وجسدى، كلما التقينا تشع طاقة إيجابية تملأ المكان وتفيض.

كان حسين كمال هو أكثر مخرج آمن بموهبتها منذ أن عملت معه مساعد مخرج فى فيلمه التلفزيونى (رنين)، ثم استعان بها فى كتابة حوار فيلمه الرائع مع فاتن حمامة (إمبراطورية ميم) حتى جاء اللقاء الأهم (حبيبى دائما) عام ١٩٨٠، ثم (العذراء والشعر الأبيض) وغيرها.

أبوبكر عزت من أوائل الذين شقوا طريقهم للنجومية على سلام ماسبيرو الوليد، وذلك مطلع الستينيات، فكان بطلا فى المسلسلات والمسرحيات التلفزيونية، سبقته سمعته كدونجوان من المستحيل مقاومته، طول وعرض وقيمة ووسامة ناهيك عن موهبته وخفة ظله، وجاء اللقاء الأول مع كوثر

هيكل ولديها (السى فى) كاملا، ووصلت له الرسالة مباشرة لا وقت للشقاوة، فأخذ الحكاية بجدية، كان فقط يريد أن يتأكد أنها على الموجة فى كل شىء، وعزمها فى اللقاء الأول، على مسمط (لحمة راس) وقبلت التحدى، وأثبتت له جدارتها بل تفوقها والتهمت معه كل الأطباق تباعا، وعندما قال لها ليكى فى (الجوهرة)، لم تتردد لحظة واحدة فى إعلان أن ليها ونص، حتى اكتشفت أنها عيون العجل، فتوقفت تمامًا عن استكمال التحدى، إلا أنها أكملت طريق الزواج.

ولم يكن أبو بكر فقط الزوج والحبيب ولكنه الملهم كتبت له (عصفور فى القفص) الزوج أبو عيون زائغة، وكتبت أيضًا وهى ترصد الحياة الزوجية (على نار هادئة). وكما كانت (لحمة الراس) سر العلاقة مع أبوبكر فلقد كانت الكفتة بالرز سر حسين كمال، كان بينهما فيلم مشترك وقال لها حسين إنه سيأتى إليها للقراءة، ولم تكن قد كتبت شيئا، مشغولة كست بيت فى عمل الكفتة بالرز، وقبل أن يعلن غضبه ويغادر المنزل استوقفته رائحة الكفتة أثناء القلى، أبدى إعجابه فمنحته واحدة فغضب أكثر، ولم يغادر المنزل إلا وهو محمل بالكمية كلها.

كوثر هيكل غادرتنا، لم تنل ما تستحقه إعلاميًا إلا أن بصمتها الدرامية من المستحيل أن تغادرنا، انتقلت لتعيش مع عصفورها أبوبكر عزت فى قفص الأبدية!!

رحيل تغريدة فى زمن ضنين عاطف بشاي

يرحل المبدعون الكبار تبعاً.. فما كدنا نودع المؤلف الدرامى والسيناريست الكبير «وحيد حامد» حتى انقض طائر الموت البغيض واختطف بنت جيله الرائعة «كوثر هيكل»، كاتبة السيناريو والحوار القديرة والإعلامية الكبيرة، بعد رحلة إبداع أثرت بها الشاشتين الصغيرة والكبيرة بأفلام ومسلسلات بديعة السبك والحبك والمحتوى.. صاغت معظمها فى إطار من نفحات رومانسية عطرة تميزت بها فشكلت ملمحاً متفرداً من الدراما المعاصرة.. برزت بجلاء فى درة من درر السينما المصرية هو فيلم «حبيبى دائماً» بطولة «نور الشريف» و«بوسى» وإخراج «حسين كمال»، بحوارها الشعارى الرشيق المتدفق فى نعومة أسرة ورونق براق ومعانٍ سامية.. ودون أن ينحرف إلى لزوجة عاطفية أو زخارف لفظية مفتعلة.. والحوار هنا لا يتوقف عند مجرد التعبير عن فحوى المشاهد أو التعليق على الأحداث.. ولكنه يودى وظيفته الفنية فى تلاحه مع الصور المرئية لدفع الدراما إلى الأمام.. وإشعال الصراع.. ومن خلال نسيج متناغم من تسلسل شائق ومواقف ذات وهج تحتشد بعواطف متأججة.. ومفردات حوارية موشاة بإيقاعات منغمة رقيقة تشرى الوجدان.. وتسر الأفتدة وتخطف العقول.

وفى علاقة الحب التى ربطت بين قلبى البطل والبطلة غمست «كوثر هيكل» قلمها فى مداد قلبها فكتبت حواراً يترقق بالبهاء بنغمات مترعة بصفاء وعذوبة وصدق يجذب المتلقى فتمتزج مشاعره بمشاعر البطلين فيعيش معها إشراقات السعادة وأحلام الأيام الجميلة القادمة.. ويصبح الحب هو وصال الروح بالروح.. وحينما يحل القدر المحتوم بقرب نهاية البطلة بالموت.. تنهمر دموع المشاهدين ويشاركونها ألم الفراق وألم الوداع.

وتواصل «كوثر» مع «حسين كمال» الذى يسعد برومانسيتهما وتتناغم مع شاعريته فتكتب سيناريو وحوار فيلم «على ورق سوليفان» عن رائة «يوسف إدريس»، البطلة «نادية لطفى» زوجة جراح شهير «أحمد مظهر» عاشرته عشر سنوات ثم داهمها الملل وكاد يدفعها هذا الملل - كما يدفع

مثيلاتها المدللات - أن تخونه مع شاب يلاحقها «محمود ياسين» ولكنها حينما تذهب لزيارة زوجها بالمستشفى ويسمح لها بدخول حجرة العمليات فتراه على حقيقته التي لم تدرکها أبداً.. صانعاً عظيماً للحياة.. ورجلاً يكمن الحب والسحر نفسه في أصابعه الماهرة عندما يتحول إلى إله صغير يصارع الموت ويقهره ويؤدى واجبه المقدس في إنقاذ المريض بإجراء عملية دقيقة له كادت تودى بحياته.. وأمام اكتشافها المذهل من أجل لحظات حب مزوقة وزائفة.. استطاعت «كوثر» أن تحول هذا النسيج المرهف إلى بناء درامى باهر رغم أنه لم يعتمد على أحداث متصاعدة أو صراع محتدم لكنه قائم على تفاصيل اللحظات الشعورية والدقائق الانفعالية والنفسية.. فلعب الحوار الراقى والعميق دوراً رئيسياً في التعبير الموحى والإنسانى الشفيف في تحول شخصية البطلة من النقيض إلى النقيض.

ومن خلال أدب «إحسان عبدالقدوس» قدمت «كوثر هيكل» فى حوار فيلمى «إمبراطورية ميم» و«العذراء والشعر الأبيض» رؤيتها الممتدة للتعبير عن أفكار «إحسان» المناهض للمجتمع الطبقي المغلق الذى يفتقر إلى الحرية والديمقراطية.. ويتحصن فى الإنسان بوعى زائف وموروثات وتقاليده متخلفة.. ويكشف عن المسكوت عنه خارج جدران السجون الاجتماعية والمعتقلات العاطفية.

تخصنت «كوثر هيكل» فى حياتها بكبرياء وترفع نادر المثال، فخاصمت مثالب مجتمع يعج بالرياء والملق والنفاق، ونفرت من أضواء دعائية زائفة.. فلم تقدم تنازلاً واحداً.. ولم تُضبط متلبسة بمجاملة نجم أو نجمة أو منتج على حساب قناعاتها الفكرية وضميرها الفنى وحساسيتها المرهفة.. وأصرت طوال مشوارها الإبداعى على ألا تعدل مشهداً أو تغير حرفاً فى حوار درامى تكتبه متجاهلة تماماً إرضاء ذائقة متفرج متعطش لمشاهدة ميلودراما فجأة أو كوميدى رخيصة.. أو نجم يطالب بأن يعمل لديه السيناريست تزيئاً يفصل له الشخصية التى تروق له، أو نجمة تصبو إلى أن تجسد دور مراقبة يتهافت عليها الشباب الضائع وقد تجاوزت الستين من عمرها.

وكانت «كوثر هيكل» - شأنها فى ذلك شأن أقرانها من كبار مؤلفى الدراما السينمائية والتلفزيونية - ضيفة على هذا الزمن الضنين الذى أفرز رهطاً

من صناع «الورش»، التى شبهها الراحل الكبير «وحيد حامد» بـ«أردية المجاذيب» المحتشدة بالرقع متنافرة الألوان- الذين يمثلون مجموعات تتولى كل مجموعة منهم كتابة سيناريو واحد لفيلم أو مسلسل.. فهذا يتولى رسم شخصية البطل، وثاني يكتب أحداث شخصية البطلة، وثالث للشخصيات المساعدة، ورابع ينثر الإفيهات المسفة فى ثنانيا حوار ركيك مرصع ببذاءات لغة الشارع المتدنية وسوقية شائعة.. فيصبح حوار «كوثر هيكل» الرقيق البليغ بقلمها الملهم تراثاً يدعو لسخرية أرزقية المهنة المحدثين.. وتصبح كلمات الحب السامى المحلق فى سماوات الإلهام والذى يترقرق بالبهاء والجمال بتعبيراتهم القبيحة «حباً فشيخاً».

وقد غابت «كوثر هيكل» ولم تحظ بالتكريم اللائق بها على المستوى الفنى أو الإدارى، وكان جزاء «سنمار» ضريبة عطائها الكبير.

سيده التلفزيون والسينما

ماجدة مورييس

تحيل نفسك بلا تلفزيون وإنما الراديو فقط ومحطاته، هكذا كان الحال حين اقتحمت كوثر هيكل اختبارات القبول للذين سوف يعملون في الجهاز الجديد الذي سوف تطلقه الدولة ليصبح أدواتها الإعلامية والثقافية، كان مبني التلفزيون العملاق قد تم إنشاؤه بالفعل، ولم يشترط القائمون عليه أي تخصصات للذكور فقط، وإنما الكل، فتقدمت الفتيات صفوف الاختبارات للعمل في تخصصات ومهن لم تكن موجودة من قبل في السلم الوظيفي المصري مثل مونتيرة فيديو ومهندسة صوت، وكاتبة، ومصورة تلفزيونية، ومخرجة، وتليسين، وغيرها. نجحت كوثر هيكل في الاختبارات، وتركت العمل الصحفي الذي ذهبت إليه بعد حصولها على ليسانس الآداب، قسم الاجتماع وعلم النفس الذي شغفت به عام ١٩٥٨، لتبدأ العمل في التلفزيون في مهنة مشابهة هي إعداد البرامج التلفزيونية، وحيث كانت ترى أن كل من عمل في التلفزيون عند افتتاحه كانت لديه مهمة أساسية هي إقامة وإيجاد البرنامج التلفزيوني، (التلفزيون هو البرنامج كما ان السينما هي الفيلم، والمسرح هو المسرحية) وبالتالي كان نجاح التلفزيون في تقديم برنامج يعتمد على الصورة يعني نجاح العاملين به في فهم طبيعته كمجال جديد، ولكن هدف ثان نافس (البرنامج) وقتها هو الدراما، أي تقديم الدراما نظراً لزيادة ساعات الإرسال، والاختفاء التدريجي لوسائل الترفيه وزيادة أعباء الحياة، وبالتالي أصبحت النظرية أيامها أن تستوعب شاشة التلفزيون الوليد طاقة المشاهد وتقدم له كل أنواع الثقافة والفنون والترفيه، وهكذا دخلت هي إلى عمل آخر في التلفزيون هو مساعدة مخرج الذي أضاف لها النقلة التي تحتاجها لكي تبدأ في الكتابة الدرامية (لم تكن هناك كاتبات اتعلم منهن. في الإذاعة أو المسرح أو السينما، لكن التلفزيون خلق هذا لدي ولدي غيري، ودفعنا للظهور علي ساحته، ومنه تواجدت الكاتبة التلفزيونية).

يوم في حياة إنسان

لمن نحيا، هي التمثيلية الأولى التي حملت توقيعها لتصبح أول كاتبة قصة

سيناريو وحوار في تاريخ التلفزيون المصري، والعربي أيضًا، ولكنها قبلها تعلمت الكثير ممن عملت معهم قبل أن تصبح أول كاتبة دراما، مثل سميرة الكيلاني أول رئيسة للبرامج الثقافية في تاريخ التلفزيون التي أعطتها فرصة تقديم فقرات مصورة تقوم بإعدادها وتقديمها ضمن (مجلة التلفزيون) وحلقات مع الأدباء والكتاب، لتنتقل بعدها إلى (يوم في حياة إنسان) الذي كان يسجل حياة الناس في كل مكان في مصر، وتعتزف أيضًا بفضل المخرج محمد سالم، أول من قدم (لغة المنوعات) للمصريين في برامج رائعة، كانت للبرامج الثقافية ثقلها الكبير وقدرتها على تبسيط العلوم والفنون والآداب للأغلبية، وكانت الدراما جزءًا من هذه الثقافة حيث تدخل ضمن البرامج الإنسانية مثل برنامج (رسالة) الشهير الذي تولت الإشراف عليه لفترة، ولم تتوقف عن شغفها بهذه البرامج برغم دخولها عالم الدراما، ونجاحها، فتولت رئاسة البرامج الثقافية، وبعده رئاسة القناة الأولى، قبل أن تتوج مواقعها الرسمية بتعيينها نائبًا لرئيس التلفزيون المصري.

من (عصفور في القفص) إلى (حكاية كل زوج)

كما كانت أول من كتب تمثيلية للتلفزيون، وواحدة من ثلاث كاتبات كن الدفعة الأولى لكاتبات الدراما المصريات (مع وفيه خيرى وفتحية العسال) فقد ارتبطت بصداقة وتفاهم مهني كبير مع المخرج الكبير (حسين كمال) الذي ذهب للعمل في التلفزيون فور عودته من بعثته إلى فرنسا، ليكونا معًا دويتو فني رفيع المستوى بدءًا من أول أعمالها (لمن نحيا)، إلى تمثيليتين بعنوان (مفترق الطرق)، و(اللقاء) الذي كان أول عمل درامي مصري يصور بالألوان -بعد دخولها التلفزيون عام ١٩٧٠، وقبله بعامين، قدمت معه أول أفلامها التلفزيونية وكان (حكاية كل زوج) أما الفيلم الثاني عام ١٩٧٦ فهو (وتفضلوا بقبول الحب) إخراج إبراهيم الشقنقيري، وبعد عشر سنوات تقدم فيلمها التلفزيوني الثالث والأخير مع المخرج يوسف مرزوق بعنوان (وصية زوجتي)، أما رحلتها مع السينما فقد بدأت بفيلم (امبراطورية ميم) مع حسين كمال الذي أخرج كل أفلامها السينمائية إلا فيلم واحد (دمي ودموعي وابتسامتي - علي ورق سوليفان - حبيبي دائمًا) الذي كتبت له الحوار عن سيناريو رفيق الصبان - والعذراء والشعر الأبيض

الذي كتب مقدمته إحسان عبد القدوس)، أما فيلمها الأخير (العاشقان) فقد أخرجه نور الشريف عام ٢٠٠١، إنها رحلة كبيرة تصلح نموذجا لمن يبحث عن مستقبل يصنعه باجتهاده وابداعه وعرقه كما فعلت كوثر هيكل الكاتبة والمبدعة والادارية القديرة التي رحلت عنا منذ أيام.

كوثر هيكل

خالد منتصر

عندما أيقنت أن رومانسية «حببي دائماً» لن تعود، قررت أن ترحل، ودعنتنا، جهزت حقيبة الروح المنهكة ببصمات أكثر من ستين عاماً من العمل والإنجاز والكتابة والإدارة الإعلامية، وأنا أقبل جبينها الوضاء، لم أر خطوط الزمن على ملامحها بل رأيت بصمات الفن الذي كانت تعشقه حتى النخاع، فن السينما والدراما، رأيت أصابعها وهي تكتب وتشطب وتتوقف عند جملة حوار بالساعات حتى تروق للسمع وتناسب العقل، رأيت الوسوسة في صياغة إبداعاتها، التي كانت مزعجة لعشاق زمن اللكلكة، إنها كوثر هيكل التي بدأت مع ماسيرو منذ زمن السقالات حتى جلست على مكتب أكبر المناصب فيه وظلت رئيسة لمهرجان التلفزيون العربي عدة سنوات.

مسيرتها الإدارية في التلفزيون لا تقل عن مسيرتها الفنية في السينما والدراما، فكانت بدايتها مخرجة أفلام تسجيلية قصيرة، منها سلسلة رائعة لا أعرف إذا كانت مكتبة ماسيرو تحتفظ بها حتى الآن أم لا، كانت بعنوان «يوم في حياة»، استعرضت فيها أياماً من حيات البسطاء، عامل بناء، صياد، بواب.. إلخ، أثناء إشرافها على إدارة البرامج الثقافية في القناة الثانية، جعلت من القناة الثانية بأفكارها اللامعة، حيث كانوا يسمونها بنك الأفكار المتحرك، جعلتها كنزاً ثقافياً مرئياً، حيث شاهدنا برامج الفن التشكيل والموسيقى الكلاسيكية وتكنولوجيا وعالم البحار والأمسيات الثقافية.. إلخ، كانت عاشقة للسينما فطلبت من يوسف شريف رزق الله إعداد «أوسكار»، وظهر في وقت رئاستها للقناة الأولى برنامج سينما لا تكذب ولا تتجمل، وأصبحت القناة الأولى في عهدها مشتل المذيعين الشباب الذين صاروا نجوماً فيها بعد، أحمد مختار وجمال الشاعر وعزة مصطفى وسلمى الشاع وfriال صالح ونجوى عزام وراوية راشد.. إلخ، في ظل رئاستها لمهرجان التلفزيون أدارت بحكمة وذكاء كل خلافات لجان التحكيم، التي كانت أحياناً تتجاوز الحدود. تعمدت أن أكتب عن مسيرتها التلفزيونية أولاً لأن معظم التغطيات أهملتها، وأتمنى من التلفزيون المصرى وإدارته أن تذكر

كوثر هيكل التي هي من الرواد وجيل تأسيس التلفزيون المصري الذي ولد عملاقاً بفضل جيلها، أما دورها في السينما والدراما فيحتاج إلى مساحة أخرى لأنه دور لن تنساه الشاشة السحرية لها كمبدعة حوار لن تتكرر.

وداعاً كوثر هيكل

محمود عبد الشكور

وداعاً كوثر هيكل، إحدى أهم وأبرز كاتبات الدراما التلفزيونية والسينمائية المصرية المتميزات.

تنتمي الى هذا الجيل المثقف والمعتبر، والذي يمتلك موهبة ورؤية، وكانت أعمالها دوماً شديدة الحساسية، تحلل وتتأمل العلاقات الإنسانية والرومانسية، وتكتب حواراً بديعاً كما في حوار فيلم «حبيبي دائماً»، الذي فازت عنه بجائزة، ولكن جائزتها الحقيقية في تحول هذا الحوار الى أيقونة للرومانسية، وفي ظهور اسم كوثر هيكل على أعمال تلفزيونية جميلة مثل مسلسل «عصفور في القفص»، الذي أبدع في تمثيله زوجها الفنان الراحل الكبير ابو بكر عزت، وعلى أعمال سينمائية كثيرة مميزة مثل «إمبراطورية ميم» و«دمي ودموعي وابتسامتي» و«على ورق سوليفان».

ما لا يعرفه الكثيرون أن هذه السيدة العظيمة والمثقفة كانت وراء ظهور اثنين من أهم برامج التلفزيون المصري عموماً، وهما برنامج «أوسكار»، وبرنامج «نجوم وأفلام».

ذكر لي ذلك الراحل يوسف شريف رزق الله، وقد سجلت شهادته تلك نصّاً في كتابي عنه الصادر منذ سنوات بعنوان «عاشق الأطياف».

قال :

|| يجب أن أذكر هنا اسمين مهمين: كوثر هيكل التي كانت مديرة البرامج الثقافية في التلفزيون في تلك المرحلة، وشيروت شافعى رئيسة القناة الثانية، الاثنتان على مستوى ثقافى رفيع، في أحد الأيام، استدعتنى كوثر هيكل، وطلبت منى إعداد برنامج تلفزيوني بعنوان «أوسكار»، نعرض فيه الأفلام التي فازت بجوائز الأوسكار، أو بأى جوائز، على أن تقوم سناء منصور بمهمة التقديم، وكنت وقتها أقوم أيضاً بإعداد برنامج «نادى السينما»، وفي نفس السنة أيضاً طلبت منى كوثر هيكل أن أعد برنامجاً يكون بمثابة أرشيف وذاكرة للسينما المصرية، نستضيف فيه نجومها، وهكذا ولد

برنامج «نجوم وأفلام»، الذى طلبتُ أن يشاركنى إعدادة وتقديمه الناقد
سامى السلامونى. استمر هذا البرنامج عامًا واحدًا فقط قدمنا من خلاله ما
بين ١٨ الى ٢٠ ضيفاً من رواد السينما المصرية.
رحم الله رزق الله وكوثر هيكلك.

أعمال كوثر هيكل

* برامج وأعمال تليفزيونية:

- || حلقات بعنوان (إنت مين) مع الأدباء والكتاب المصريين ١٩٦١ .
- || كتبت برنامجاً خاصاً بعنوان (يوم في حياة) عن أصحاب المهن في كل المجالات في شكل بورترية تسجيلي (١٩٦٢-١٩٦٤).
- || ساهمت في كتابة حلقات من برنامج (كاتب وقصة) تتطلب جزءاً درامياً عبارة عن تحويل المؤلفات الأدبية إلى تمثيلات قصيرة .
- || أشرفت على برنامج (رسالة) عدة سنوات وكانت تكتب بعض تمثيلياته المأخوذة من رسائل الناس العاديين.
- || أصبحت رئيسة للقناة الأولى في التلفزيون المصري في فبراير ١٩٩١ وحتى يوليو ١٩٩٤ .
- || في عام ١٩٩٥ عينت نائباً لرئيس التلفزيون المصري.

* التمثيليات :

- || تمثيلية (لمن نحيا) ١٩٦٣
- || تمثيل : سهير البابلي - زوزو نبيل - محمود عزمي - إخراج حسين كمال
- || كتبت عدداً كبيراً من التمثيليات داخل برنامج رسالة
- || مفترق الطرق
- || تمثيل : صلاح ذو الفقار - زيزي مصطفى - صفية العمري - إخراج حسين كمال
- || اللقاء أول عمل بالألوان ١٩٧٠
- || تمثيل : صلاح ذو الفقار - زيزي البدراوي - إخراج حسين كمال
- المسلسلات
- || مأساة امرأة عن قصة بائعة الخبز ١٩٧٨

تمثيل : هدى سلطان- كمال الشناوي إخراج إبراهيم الشقنقيري
|| وتفضلوا بقبول الحب ١٩٨١

تمثيل: ليلي علوى - أبو بكر عزت - إخراج إبراهيم الشقنقيري
|| عصفور في القفص ١٩٨٤

تمثيل: سناء جميل - أبو بكر عزت - هناء ثروت - إخراج محمد شاكر
|| مكان في القلب ١٩٨٨

تمثيل : مصطفى فهمي - إلهام شاهين - أبو بكر عزت - عبد المنعم إبراهيم -
صفاء السبع

|| اللحظات الأخيرة ١٩٩٩

تمثيل : نجلاء فتحي - كمال أبو ريه - إخراج محمد خان - أحمد يحيى (٣)
حلقات فقط

|| فارس عصره وأوانه (مسلسل إذاعي) ١٩٨٩ إخراج مصطفى أبو حطب

• الأفلام:

|| حكاية كل زوج ١٩٦٨ أول فيلم تليفزيوني تأليف بالمشاركة مع مصطفى
كامل

تمثيل صلاح ذو الفقار - زيزي مصطفى إخراج حسين كمال
|| إمبراطورية ميم ١٩٧١

تمثيل: فاتن حمامة - أحمد مظهر - حياة قنديل - ليلي حمادة
إخراج: حسين كمال عن قصة إحسان عبد القدوس

|| دمي ودموعي وابتسامتي ١٩٧٢

تمثيل: نجلاء فتحي - حسين فهمي إخراج حسين كمال
قصة إحسان عبد القدوس

|| على ورق سوليفان ١٩٧٤

تمثيل :ناديه لطفي - محمود ياسين

إخراج حسين كمال

قصة يوسف إدريس

|| حبيبي دائماً ١٩٧٩

سيناريو رفيق الصبان حوار كوثر هيكل

تمثيل: نور الشريف || بوسي إخراج: حسين كمال

|| العذراء والشعر الأبيض ١٩٨٢

تمثيل: نبيله عبيد - محمود عبد العزيز - شيريهان

إخراج: حسين كمال عن قصة إحسان عبد القدوس

|| وصية زوجتي ١٩٨٦ فيلم تلفزيوني

تمثيل: أبو بكر عزت - عفاف شعيب - صابرين

إخراج يوسف مرزوق

|| العاشقان ٢٠٠١

تمثيل: نور الشريف - بوسي - عبد المنعم مدبولي

إخراج نور الشريف

وثائق وصور



انطلاقة الشباب



ليلة العمر بفستان الزفاف



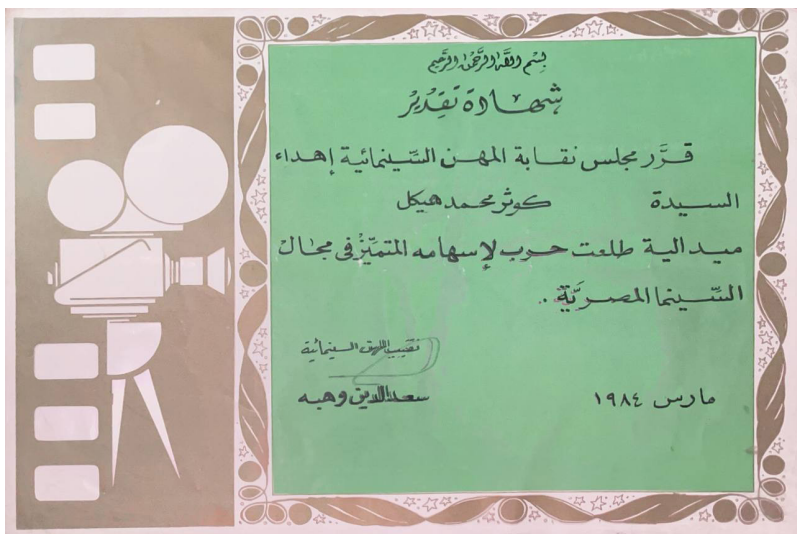
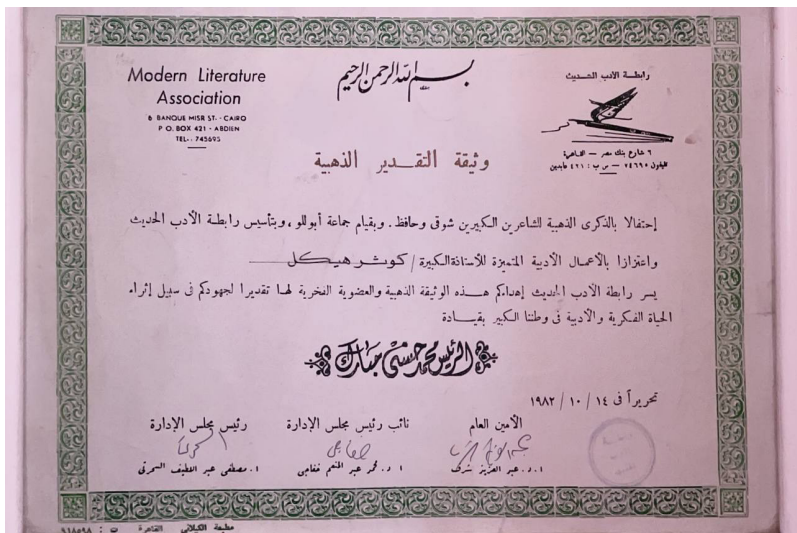
تكريم الرئيس الأسبق مبارك لها بحضور صفوت الشريف

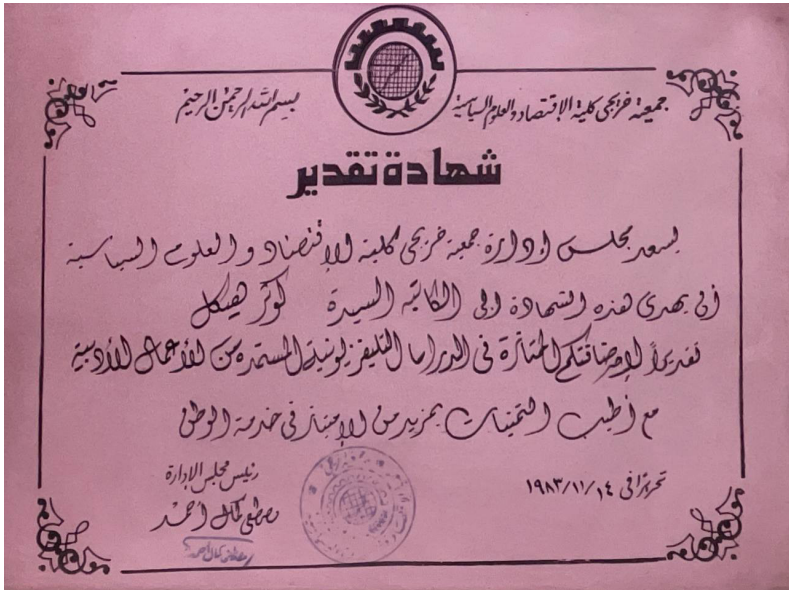


من أحد حواراتها

تكریم و تقدیر







شهادة تقدير



تتقدم نقابة الإعلاميين (تحت التأسيس) بخالص الشكر والتقدير
للسيدة/ **كوثريهيكل**
عرفانا وتقديراً لما قدمتموه للإعلام المصرى والعربى
فى رحلة عطاء زاخره
مع تمنياتنا أن يتواصل هذا العطاء عبر الأجيال التى
نهلت من معين خبراتكم

رئيس النقابة

محمد عبد المنعم

المهرجان القومى السابع للسينما المصرية

٢٠٠٩

المسابقة الحادية عشر
للأفلام الروائية

قررت لجنة التحكيم منح جائزة

السيناريو

كوثريهيكل
العاشقان

إلى الفنان

عن فيلم

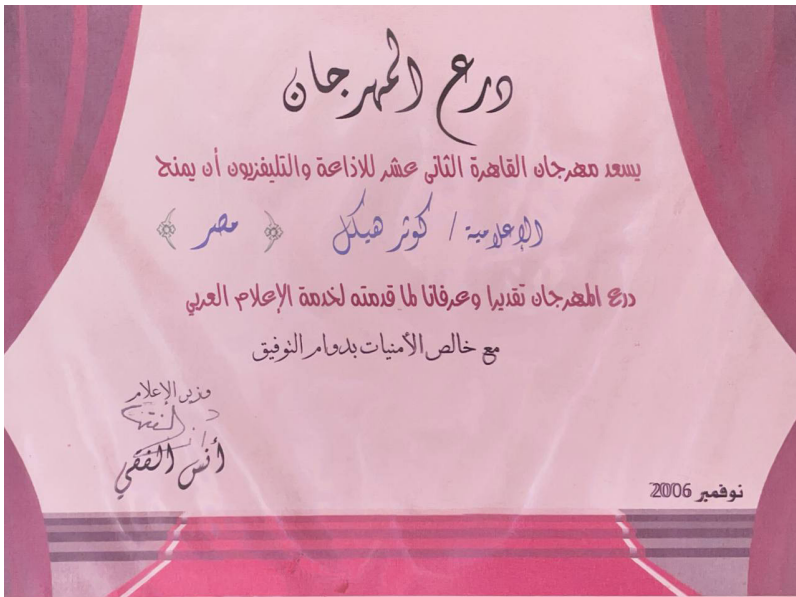


رئيس لجنة التحكيم

وزير الثقافة

فاروق حسنى

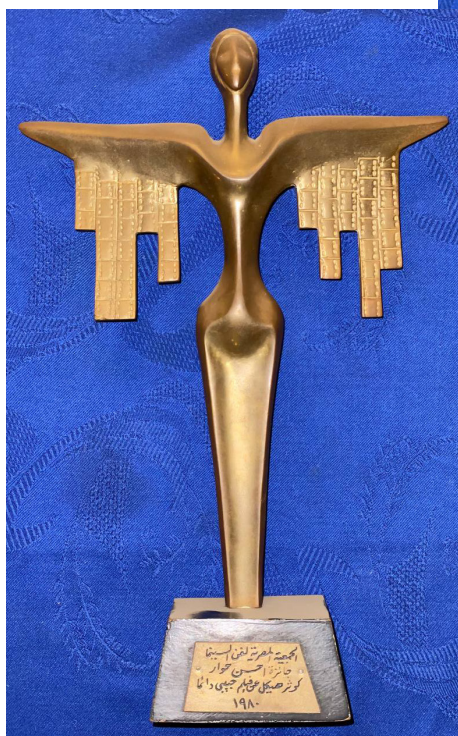
السيد ياسين

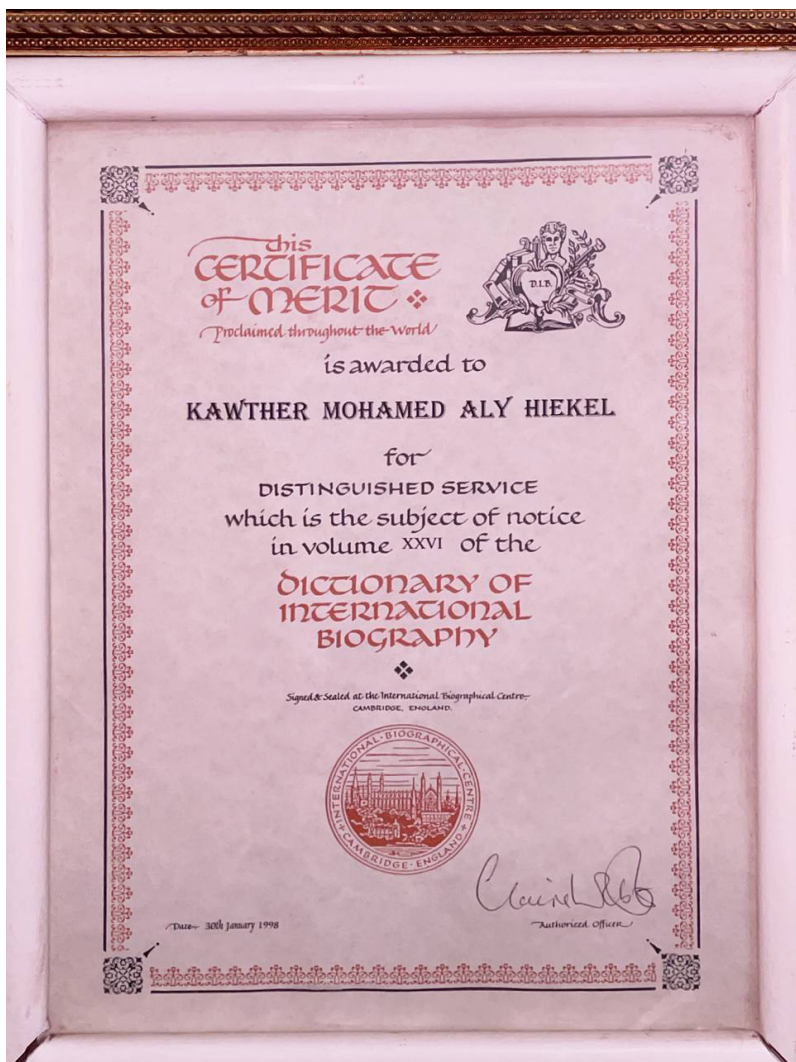
















شهادة التقدير الذهبية

تهدى الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما جائزة أحسن قصة لعام ٨٠

الفنانة كوثر هيكل

عن فيلم (جيلي دائماً)

لقدرتها التعبيرية في كتابة الحوار السينمائي

رئيس مجلس الإدارة

كمال الدارج

نائب رئيس مجلس الإدارة

محمد اليسوقي إبراهيم

٢١ ديسمبر ١٩٨٠

الفهرس

٥	إهداء
٧	كوثر هيكل .. حبيتي دائماً - سماح أبوبكر عزت
١٠	كوثر هيكل تحكي
١٤	نحن النساء الموهوبات
١٩	منوعات ودراما وحظ حسن
٣٤	إعادة اكتشاف صاحبة «حبيبي دائماً» - أيمن الحكيم
٤٧	كوثر هيكل مع عصفورها في قفص الأبدية! طارق الشناوي
٤٩	رحيل تغريدة في زمن ضنين - عاطف بشاي
٥٢	سيدة التليفزيون والسينما - ماجدة مورييس
٥٥	كوثر هيكل - خالد منتصر
٥٧	وداعاً كوثر هيكل - محمود عبد الشكور
٥٩	أعمال كوثر هيكل
٦٢	وثائق وصور
٦٤	تكريم وتقدير